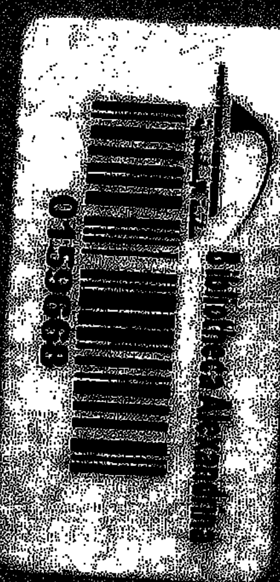






د. عبد الغفار مكاوى

الحكماء السبعة

د . عبد الغفار مكاوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٠

● الاخراج الفنى

● فاتن رضا

الإهداء

الى ذكرى يوسف كرم

الفيلسوف الحق

والقدوة العالية

فى أيام صرعت فيها القيم

وغابت عنا القدوة ..

تقـــديم

كان افلاطون هو اول من ذكر الحكماء السـبعة واسماءهم في محاورته « بروتا جوارس (٣٤٣ د) ٠ ثم جاء مؤرخ الفلاسفة اليونانية ديوجنيس اللائرشى (حوالى سنة ٢٢٠ بعد الميلاد) فروى فى كنزه النفيس (وهو كتابه عن حياة الفلاسفة المشهورين وآرائهم) الكثير من أخبارهم وحكمهم الموجزة التي تلخص تجربة حياتهم ، واورد اسماءهم السبعة المعروفة وقال ان آخرين يضيفون اليهم أنا خارسيس وميسون وفيز يكيديس وابيمينيدس ، وربما زيد عليهم اسم الطاغية بيزيستراتوس واسماء أخرى تصل بهم الى ثلاثة وعشرين حكيما ! وظـل الناس يتناقلون انباءهم وحكاياتهم وكلماتهم من العصر اليوناني الى عصر النهضة ٠

وكان من الطبيعي أن تتغير صورهم وأسماؤهم وتفسير الرواه لهم من عصر الى عصر ، حتى لقد وصل ذكرهم وطرف من أخبارهم الى الشرق فسجلت قصة من روائع الأدب الفارسي بعض أقوالهم الجامعة على لسان سندباد الحكيم والوزراء السبعة في **كتاب السندباد (سندباد نامه) ، وأشار اليهم بعض فلاسفة الاسلام** ومؤرخي الحكمة وطبقات الحكماء اشارات لاتخلو من الطرافة **(كالبيروني والشهرستاني وابن النديم والشهرزوري والمبشر بن فاتك) ..**

لم يكن هؤلاء الحكماء فلاسفة بالمعنى الدقيق للكلمة .لقد كانوا ـ باستثناء طاليس أبي الفلسفة وصولون الشاعر والمشرع الأثيني المعروف ـ رجال عمل وبناة دول اشتهروا بالأمانة والصدق وقهر النفس واحترام القوانين . وكانت تجارب حياتهم ـ بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد ـ التي تبلورت في حكمهم وكلماتهم بمثابة البذور التي نمت بعد ذلك في أشكال فكرية حية ، فأصبحت « اعرف نفسك » عند سقراط نظرية عن ارتباط الفضيلة **بالعلم والمعرفة ، وتطورت « لاتسرف في شيء » عند أرسطو الى مايسمى بنظرية الوسط الذهبي ، وتغلغلت فكرتهم المحورية عن التزام الحد والاعتدال في روائع العقل والوجدان اليوناني في الفلسفة والشعر واناشيد الجوقة في المأساة ..**

التقيت بالحكماء السبعة في سنوات الطلب قبل ما يزيد على الربع قرن . فقد هداني الحظ (في لحظة نادرة من تلك اللحظات التي يفتر فيها ثغره عن بسمة ضنينة !) الى كتاب استوعب عباراتهم وحكاياتهم وأخبارهم الأصيلة وحققه ونشره العالم الألماني الأستاذ برونو سنيل (حياة الحكماء السبعة وآراؤهم ، ميونيخ ، سلسلة توسكولوم ١٩٥٢) ثم ظلت أمواج الأيام والأحداث

تتقاذف قارب شوقى للكتابة عنهم حتى سالنى زميل كريم أن أشارك فى كتاب تذكارى عن مؤرخ الفلسفة العظيم وأستاذ الأساتذة المرحوم يوسف كرم · وما كان لى أن أتخلف عن ركب الوفاء لهذا الحكيم الحق الذى كان وسوف يظل القدوة والمثل الأعلى ، خصوصا وأنا اشهد فى جيلى وزمانى مصرع الحكمة ومسخها وتشويهها على أيدى عدد من الصغار الذين ابتليت بهم وبدأت العمل فى المشروع القديم · وما لبثت المادة المترامية الأطراف أن اقنعتنى بالتخلى عن صورة المقال والبحث التقليدية وفرضت على هذا الشكل الذى يجمع بين النثر والشعر ، ويزاوج بين الفلسفة والمسرح ، ويمر فى حياة الحكماء والتأمل فى مصير الحكمة بعدهم الى الحد الذى يحرمهم من الدخول بين دفتى ذلك الكتـــاب ·· ثم توالت أمـــواج الأيام والأحداث فعصفت بشراع حياتى فى محنة شخصـية فجعتنى فى بعض الزملاء والأبناء الذين توهمت ذات يوم انهم ذخر البقية الباقية من العمر ·

وقد علمتنى المحنة أن الشر والغدر التعمد وصمة على جبين البشرية كلها ، كما علمتنى فى الوقت نفســـه أن الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول صائرون فى النهاية الى التراب الذى يسوى بينهم على صدر أمنا الأرض · ومع أن المحن الشخصية لاتكفى لا قامة علم ولا فن ، اذ لابد أن تجد معادلها الموضوعى، فى شكل فكرى أو أدبى باق ، وأن تبلور دموعها فى لآلىء صلبة صافية ، فقد دفعتنى بقوة الضرورة القاهرة لاتمام هذا العمل الذى تراه بين يديك ، وهو عمل ربما أثار فى نفسك ــ كما أثار فى نفسى ــ شجونا تتصـــل بمحنتنا العربية التى لا تخرج المحن الفردية والجماعية المتوالية

(★) هو الزميل الدكتور عاطف العراقى الذى أشرف على تحرير كتاب تذكارى عن المرحوم الأستاذ يوسف كرم بتكليف من المجلس الأعلى للثقافة .

عن أن تكون صورا مصغرة منها ، وشظايا وشـــرارات من نيران جحيمها الذى نصنعه لأنفسنا بأنفسنا ٠٠٠

ربما سألتنى : لماذا الحكماء السبعة فى زمن نعلم أن الحكمة غابت عنه وصارت ضعفا واستسلاما او يأســـا وركودا وظلاما ، وتحولت عند عدد كبير ممن جعلوها مهنتهم الى كتب ميتة ومذكرات ركيكة واملاء وتلقين واجتراء وتكرار تجنى كلها على النشء جناية لاتغتفر ؟ ماجدوى التذكير بهذه الشخصيات التى تنتمى الى حضارة وثقافة أخرى فى ظروفنا الحضارية والثقافية التى أصبحت أزمات تدهورها وانهيارها غير خافية على أحد ؟ وهل تســـتطيع بعض الشخصيات أو الكلمات المضيئة فوق بحار الظلمات التاريخية أن تمد طوق النجاة للسفينة الغارقة ؟

اذا كانت الحكمة والحكمـــاء قد غابا عن المسرح العــالمى والمحلى (باستثناء قلة من شـــيوخنا ورعاتنا الأجلاء قد لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة) فان ورثة الحكماء ، وهم المثقفون، وسليلة الحكمة ، وهى الثقافة ، يستحقان أن نقف معهمـــا قليلا ونذكرهما بالماضى العريق والأجداد المنسيين ٠ وأســـارع فابشر القارىء بأننى ٠٠أكفيه وأكفى نفسى عبء الجدل الممل العقيم عن تعريف الثقافة ومقوماتها والفرق بينها وبين الحضارة والمدنية ٠٠ الخ وسأتجه مباشرة الى حملة الثقافة وهم المثقفون ، بل سأحصر نفسى فى دائرة واحدة من دوائرهـــم الكثيرة وهى دائرة المربين **والمعلمين ــ وأنا واحد منهم ــ ، لعلنا نستطيع أن نستوحى الحكمة** والحكماء ونقيم لأنفسنا محكمة نقف فيها أمام أنفسنا ونراجعها ونحاسبها ، فمراجعة النفس ومحاسبتها ، بالمعنى الكونى الشامل ، قد كانت على الدوام جزءا لا يتجزأ من الحكمة ٠٠

لاشك فى أن التعميم يمكن ان يبتعد بنا عن الحق والانصاف

ولا شك ايضا فى أن حياة المثقفين فى الظروف التاريخية الصعبة التى مرت بنا فى العقود الثلاثة الأخيرة لم تكن سهلة ولا يسيرة ، بل كانت فى معظم الأحيان شبه مستحيلة ، وأدت فى كثير من الأحيان الى شعور المثقف بالاغتراب المضاعف وكادت ان تصل به الى حافة الجنون · كما ان الحياة فى ظل النظم الفردية المطلقة التى غابت عنها الحريـة والقانون قد افرخت مســوخا شـتى من الطفيليين والانتهازيين والنرجسيين المتضخمين وتجار الكلمة والعلم وحــواة الشعارات والمغازلين للسلطة بعين وللتقدمية بالعين الأخرى ، حتى ليأخذنا العجب ونغلبنا الحســرة فنهتف مع الشــاعر صــلاح عبد الصبور (على لسان سعيد فى مسرحيته ليلى والمجنون) : « ربى ! كيف ترعرع فى وادينا الطيب ، هذا القدر من الســفلة والأوغاد ؟! »

ومع ذلك فان الظلام لم يستطع أن يطبق علينا تماما · فهنالك انجازات حقيقية فى مختلف ميادين الابداع والبحث العلمى قـد تمت ، وروائع قليلة العدد قد استطاعت أن تبرز فوق مياه الطوفان وتتحداه · والذى يعصم النفس من الغرق فى اليأس والحزن أن حياتنا لم تخل من المخلصين العاملين فى صمت ، والمتفانين الى حد الاستشهاد ، والمترفعين المتعففين مهمــا أصـــابهم من الضـــيق والضنك والاملاق (وان بقىَ علينا أن ندركهم قبل أن يهلكهم المــوت البطىء بسموم المرارة والاحباط ! ؟

بيد أن الأهم من ذلك كله أن مفاهيم الثقافة والعلم والتعليم قد أصبحت فى أشد الحاجة الى المراجعة الشاملة ، كما أصبحت نظمها ومناهجها وغاياتها وفلسفاتها ـ ان كانت هنالك ثم فلسفات ! فى حاجة الى البداية من الصغر · وكما يحدث فى أوقات الأزمات والمحن التى تلم بالأفراد والشعوب وتطرح فيها الأسئلة الكبـرى

والنهائية ويتحتم على ملاحى السـفن المهددة بالغرق أن يواجهوا انفسهم بهذا السؤال : الى أين ينتهى بنا السير - ، كذلك تقتضى الضرورة أن نسأل انفسنا : ماذا نعلم ولماذا نعلم ؟ هل استطعنا ان نعلم الشباب وننمى فيهم روح التفكير النقدى المستقل والبحث المتحرر من التميز والهوى ؟ هل حققنا اقل قدر من النجاح فى ازالة الأوهام الراسخة وتحطيم الأصـنام العقلية والتميزات البالية ؟ ولماذا اخفقت الثقافة والعلم فى تغيير واقع ملايين الناس ووعيهم تغييرا ملحوظا ، ولم تخط بهم خطوات ملموسة على طريق الحرية والتقدم والاستنارة ؟ هل اكتفينا بنقل المعلومات والمذاهب والنظريات - وليته كان نقلا امينا فى كل الأحوال ! - وشاركنا ، عن قصد او غير قصد ، فى قمع الفكر النقدى المسـتقل ، ومد ظلال الركود القبيح والتهاوى والعناء على مجتمعاتنا ككل ؟ الم يساعد ذلك فى النهاية - بجانب عوامل تاريخية واجتماعيـة وسياسـية معروفة ولاحاجة لذكرها - فى ظهور تلك النباتات الشيطانية التى تشابكت وتضخمت فى حقل المعرفة والأدب والفن حتى أوشكت أن تحيله الى غابة تمرح وتصفر فيها افاعي الانتهازية والتسلط واستغلال العلم والمعرفة فى جمع الثروة وممالأة السلطة والسعار الى الشـهرة والمنصب والمجد الكاذب ؟ هل وعينا الدرس القائل ان المعلم فى حاجة الى تعليم والمربى فى حاجـة الى تربية فتحملنا المسـئولية بشجاعة وتشبثنا باعلام القيم فى زمن سقوط القيم ، وتمسكنا بالراية شان الجنود المناضلين ؟ وهل استطعنا اخيرا أن نقف متساندين جبهة واحدة للضمير اليقظ كما وقف الحكماء والمعلمون الحقيقيون على الدوام - لنرد المحنـة عن حضـارتنا التى يطبق عليها الحصـار وتتعرض للتصفية - لابفعل الصهيونية والاستعمار وحدهمـا ! - وتضطر الى التراجع والانكماش كانها كائن خرافى آن أوان انقراضه

بعد أن لم يعد له مكان فى عالم تجاوزه وأنكره وسخر منه ، اللهم الا أن يصبح حقل تجارب من كل نوع ؟

قلت ان الظـلام لم يطبق بعد • فمازال هناك امل ولابد ان يكون الأمل • ان الكثيرين قد سقطوا أو تاهوا ، وكثيرون أيضا قد تحملوا وصمدوا صمود الرواقيين فى عصـور الشـك والياس والوحشية والجبروت ولو قدر لحكمة هؤلاء الحكماء و غيرهم ان تبعث حية لمدت يدها لمن سقطوا او تاهوا قائلة : ان كل شيء لم يتله بعد • تعالوا الى طريقى ولنبدأ من جديد • فالأمر لايتعلق بنا بقدر ما يتعلق بحضارة تخترمها الكوارث وتنتظرها كوارث اكبر • واذا اختنق الابداع وتهاوت ارادة الفكر الحـر المســتقل حكمت الحضارة على نفسها بالانتحار • اما أولئك الذين تحملوا وصمدوا فسوف تواجههم قائلة : ليست الشـــجاعة فى الصمود والكبرياء الجريحة فحسب • ان الشجاعة والحقيقة فى تغيير الواقع بالفعل أعلم أنكم تعبتم وعانيتم • ولكن تذكروا عشرات من المفكرين الذين انتهت حياتهم فى السجن أو المحرقة على الصليب او المشنقة انهم لم يفاجئوا فى لحظاتهم الأخيرة بالشر والغدر ، وان لم يتوقعوا أن يصل الى ما وصل اليه من القسوة والخسة • ومع ذلك لا يصح أن تنسوا أن بقايا رمادهم هى الأرض التى تقف عليها الحقيقة والحرية والأمل فى التطور ، ولولا أنوار ابداعهم وكفاحهم لصـــار تاريخ البشرية ظلمات فوق ظلمات ••

ان الحكم التى ستقرؤها على ألسنة الحكماء السبعة لا يمكنها بطبيعة الحال أن تثير كل هذه الأسئلة أو توحى بكل هذه القضايا والمشكلات • فلا بد من الاعتراف بأن بعضها سخيف وســاذج ، وبعضــها الآخر مجرد وصـــايا عملية ترتبط بالعـــادات والتقاليد الشعبية فى ذلك العهد البعيد من عهود الحضارة الاغريقية المبكرة ،

ثم ان أروع أقوالهم ـ مثل اعرف نفسك وابتغ الحد والقصد فى كل شىء وأدرك قيمة اللحظة ... الخ ـ يمكن أن تفســـر ، وقد فسرت بالفعل ، تفسيرات متنوعة ، ولكن المهم بعد كل شىء هو قراءة هذه الحكم الماضية على ضوء الحاضر . واذا كان الماضى لايعود ولا يتكرر أبدا ، فان نفس المشكلات والأخطار يمكن أن تواجه الشعوب والحضارات المختلفة عندما تجد نفسها على مفترق طريق تاريخى يقتضى حكمة جديدة يحققها حكماء من نوع جديد . واذا كان العلم قد حل اليوم محل الحكمة القديمة ، فان من واجب العلماء والمعلمين أن يضفوا عليه كبرياءها وجلالها واخلاصها فى السعى الى الحقيقة المنزهة . ولابد كذلك أن يعيدوا اليه دورها العريق فى انقاذ المدينة والدفاع عن أسوارها وحرية أهلها ... لقد قيل ان الأنبياء غير المسلحين يخفقون دائما (مكيا فيللى) . ومع أن المثقفين الذين نقصدهم قبل غيرهم ، وهم العلماء والمعلمون ، ليسوا رســـلا ولا أنبياء ـ على الرغم من بيت شوقى المشهور الذى لم يعد أحد يصدقه أو يأخذه مأخذ الجد ! ـ فـــان سلاحهم الوحيد الذى لايجوز أن يتخلوا عنه هو الشجاعة . فلا قيمة لعلم أو فكر لا يؤصل الحرية ، ولاجدوى من تعليم فقد شجاعة التساؤل والنقد المستقل . ولذلك لم يدهشنى كثيرا أن أكتشف بعد الفراغ من كتابة هذه الحوارية أنها تنتهى بسطور تتردد فيها أصداء أبيات من قصيدة شهيرة عن يوميات نبى يحمل قلما يتنظر نبيا يحمل سيفا (من مسرحية ليلـــى والمجنون لصلاح عبد الصبور) . ولا تريد هذه السطور الغاضبة أن تهاجم أحدا ولا أن تدين وضعا محددا . وهى كذلك لا تهدف الى تعرية جوانب ضعف لا يخلو منها البشر بحكم طبيعتهم البشرية ، كما أنها بعيدة كل البعد عن أن تضع على رءوس المثقفين أو المعلمين هالة شاعرية وهمية . ان الأمر فى الواقع لأكبر من ذلك وأخطر ،

لأن الخطر الذى يتهدد حضارتنا يتخطى الاشـــخاص والظواهر والأوضاع المحددة بالأزمان والبلدان • وقد اكدت السطور السابقة أن المثقفين والعلماء والمعلمين بوجه خاص هـم ملاحو الســـفينة الموشكة على الغرق •

واليوم آن الأوان لكى يوجهوا السفينة ويصححوا اتجاههـــا ويوقظوا ركابهـــا • ولن يقدروا على ذلك حتى يبدأوا بأنفســـهم ويستيقظوا من ســـباتهم ويحاسبوا ضـــمائرهم ويراجعوا علمهم ومعرفتهم وفكرهم وسلوكهم • فاذا استطاعت هذه المحاورات مع الحكماء السبعة أن تدعوهم الى محاورة النفس وتذكرهم بأن الحكمة لم تمت ولا يمكن أن تموت ، وانها تحيا وتتجدد وتقاتل عند الضرورة كلما أرادوا الحياة لأنفسهم وحضارتهم وثقافتهم ـ اذا استطاعت أن تحقق شيئا من ذلك فقد بلغت غاية ما أتمناه •

عبد الغفار مكاوى

الحكماء السبعة

- ١ -

● المؤرخ يقلب فى الأوراق ، يجمع الوثائق ويتحقق من الحقائق التى اختلطت بالغرائب والخرافات والأساطير وحكايات الخوارق · وعندما يدلهم الأفق وتاخذه الحيرة من كل سبيل يرفع صوته : ياأشباح الزمن الماضى ، من عمق القرن السادس قبل الميلاد · صوت من زمن المحنة يدعوكم فاستمعوا له · شبح يتشبث بالصدق وبالحكمة فى عصر الكذب الشائن والغدر الخائن ، يرجو أن يتحاور معكم ، أن يسألكم وتجيبوه · وتتزاحم الأشباح وترتفع الأصوات · السبعة صاروا سبعة عشر واكثر · والحيرة تزداد عليه فيهتف :

المؤرخ : عشتم مثلى فى زمن المحنة · والمحنة عاناها الشعر وقاستها الكلمة · فى العقود الأولى من قرنكم السادس كانت أصوات الشعراء ماتزال عالية شجية : سافو وألكايوس من جزيرة

لسبوس سيمونيدس وميمنيرموس من أيونيا ، صولون الشاعر والمشرع الشهير من أثينا · لكن لابد أنهم قد ماتوا جميعا قبل انتصاف القرن ولم يخلفهم أحد · ولابد أن الجيل الذى تلاهم قد خبت فيه نار الشعر وخرست قيثاره ، حتى حلت سنة ٥٣٠ فانطلقت شرارته المقدسة من جديد · هذا الجيل المجدب هو الذى ازدهرت فيه حكمتكم · حكمتكم التى لم تكن شعرا ولا فلســـفة ، بل تجســـيدا للفطنة والخبرة والتجربة العملية ··

الحكماء : تتسرع فى توجيه التهمة وتضن علينا بالحكمة · مع انا منذ القدم نسمى الحكماء ·

المؤرخ : معذرة · أنا لااتهم ولا ادافع ، بل أتلمس آثار الحكمة أو أبكى فوق الأطلال · ماذنبى اذا كان عصرى هو عصر سقوط القيم وزمنى ضاعت فيه الحكمة والعقل ؟ ماذنبى ان كانت كتب التاريخ تمجدكم أحيانا أو تبخل فى أحيان أخرى فتسمبكم الرجال الأذكياء ؟ هلا أجبتم على سؤالى ؟

الحكماء : لاندرى كيف نرد عليك · ربما لأن الواقع العملى فى أيامنا بدأ يفرض سلطانه فازدرى الشعر ، واستصغر شأن الكلمة ، وأخذ يولى وجهه شطر حقائق الحياة ··

المؤرخ : ربى · هذا مانلقاه الآن ·

الحكماء : أتدين زمانك وزمانى ؟

المؤرخ : لا لا · بل أهمس من عجز لسانى وجنانى · أكمل قولك ··

الحكماء : أو لأن العاطفة الدينية شطت فى التحليق حتى تاهـــت وسقطت فى الهاوية العميقة التى تستعصـــى على العبارة والخطاب ·

المؤرخ : مهما يكن الأمر فقد راجت حكمتكم ..

الحكماء : حكمتنا ؟ ها انت تعود الى الحق . لقد تناقلتها الافواه فلم تكن بحاجة الى التدوين ، اللهم الا على أحجار «أوستيا»(١) أو على جدران معبد «دلف» . ولهذا ليس عجيبا ان ينسبها الاغريق الى الاله أبوللو أو الى جنى بحـــرى حكيم كانوا يدعونه عجوز البحر الالهى ..

المؤرخ : معنى هذا أنها وجدت قبل وجودكم ؟ . انتظروا .. لقد وردت فى اللوح الحادى عشر من ملحمة جلجاميش البابلية سيرة سبعة حكماء أسسوا مدينة أوروك ، كما تلقى حكماء الهند السبعة الذين يسمون «الريشى» الحكمة وفن الغناء من الآلهة ، ووضع شاعركم هوميروس مجلس حكماء سبعة تحت تصرف أجامنون وبرياموس(٢) . حكمتكم اقدم مما أتصور أقدم مما كنت أقدر ..

الحكماء : ولكن لم يتأكد صدقها الا بنســبتها الينا . نحن الذين كافحنا وأسسنا وتجولنا فوق الأرض الغانية بدمنا ولحمنا ..

المؤرخ : ورفعتـــم لمصـــاف الأبطال ونســـجت حولكم الحكايات والخرافات ..

الحكماء : هل يقع الذنب علينا ؟ كنا بشرا مثل البشر ، صـــمدنا لأعاصير الزمن القلقة ، أعلينا بناء حياتنا وحياتنا وحياة شعوبنا . أتلومنا لأن الناس جللت رؤسنا بغار الحكمة الذى بخلت به على رءوس الشـعراء ، أم لأن الأفكـــار العظيمة لا يصدقها الناس حتى ينسبوها الى عظيم حققها فى الواقع ، أم لأن الحكايات والخرافات والأساطير عادة ما تغزل خيوطها بعد موت أبطالها(٣) ؟ أولا يكفينا أن حكمتنا راجت ..

المؤرخ : بل مازالت رائجة وعلى كل لسان ، انتشرت بين الأمم وفى مختلف الازمان ٠٠٠

الحكماء : حكمتنا راجت فى قرن سكتت فيه أوتار الشعر ٠٠

المؤرخ : وبدأت تزدهر شجرة الفلسفة ٠٠

الحكماء : الفلسفة ؟

المؤرخ : صفة أخرى للحكمة ٠٠ ولحب الحكمة ٠٠ كان من الممكن ألا تبدأ لولاكم ٠ كان من الممكن الا تزدهـــر الشـــجرة لولا البذرة ٠٠

الحكماء : والبذرة ألقيناها فى التربة هل مازلت تضن علينا ؟

المؤرخ : لست أضن عليكم بالحكمة ، لست بخيلا باسم الحكماء ٠ لكن التاريخ يحيرنى وتحيرنى الأسماء ٠ حتى العدد اختلفت فيه الآراء ٠٠

الحكماء : هذا ليس جديدا ٠ من منتصف القرن السادس قالوا سبعة زادوا العدد فقالوا سبعة عشر حكيما ٠٠ ليس جديدا مانسمعه منك ٠٠

المؤرخ : بل ما تشهد به الوثائق أو تشهد عليه ٠ مع ذلك تتردد فيها أربعة أسماء ٠ صولون المشرع ٠٠

صولون : والشاعر أيضا ٠ لاتنس ٠

المؤرخ : كيف لأحد أن ينساك ؟ الشك يحيط بأخبار الحكماء الستة ، أما أنت فرأس الجبل يطل على تاريخ اليونان ٠٠

صولون : رأس الجبل ؟ كلامك هذا يضـــحكنى ٠٠ مع أن الكاهن

العجوز فى مصر قال لى : ياصولون ! ياصولون ! ستبقون على الدوام أطفالا ايها الاغريق ، اذ لايوجد شيخ اغريقى ٠

المؤرخ : تلك رواية أفلاطون(٤) ٠ لكن حفظ التاريخ لنا أشعارا منك ٠

صولون : هل تذكرون مرثيتى التى بدأتها بهذه السطور :

الآن عرفت الأمر ،

والالم عميق فى أعماق الصدر ،

وانا أشهد أكبر أبناء أيونيا ينهار ويدحر ٠٠

المؤرخ : هكذا بدأتها بعد أن اشتد النزاع فى الدولة ، واستعبدت الأقلية اغلبية المواطنين ، وثار الشعب على الاغنياء والأعيان ٠ احتدم الصراع بينهما وطال ٠ وانتخبوك رئيسا وقاضيا يفصل بينهم ، وكلفوك بتدبير نظامهم ووضع دستورهم ٠ كنت حكيما ورحيما ، لم تؤثر أى الحزبين على الآخر ، فوقفت فى صفهما ونصحتهما بالصلح ووقف الصراع ٠ كان الكل يجلك ويقدر موهبتك ، مع أنك لم تكن أغناهم أو أرفعهم فى المنصب والجاه ٠ ورحت تحذر الأغنياء من الترف والتطرف ، وتنصحهم بالتواضع والاعتدال ، وتلقى الذنب عليهم وعلى تكبرهم وجشعهم الى المال فيما حاق بالمدينة من خراب ٠ اسمع شهادة حكيم آخر بعدك : حرر صولون الشعب فى الحاضر والمستقبل عندما حرم اقتراض المال فى مقابل رهن الجسد ، وضع القوانين وأصدر تشريعا بالاعفاء من الديون العامة والخاصة أو بنفض الاعباء(٥) ٠٠

المؤرخ : ويذكرنا هذا باسم آخر ٠٠

بيتاكوس : بيتاكوس من ميتيلينه ٠ سمونى الطاغية وكنت رحيما بالأوغاد ٠٠

صولون : طاغية ورحيم ·· حقا ما أغرب هذا !

بيتاكوس : وماوجه الغرابة ياصولون ؟ أنت نفسك سمعت عنى كما سمعت كلمتى ··

صولون : لما بلغنى قولك : من الصعب أن يكون المرء طيبا ، أعجبتنى حكمتك وقلت : ومن الصعب أن يكون جميلا ···

بيتاكوس : وهل عرفت متى قلتها أو كيف ؟ لقد رأيت أعدائى يتكاثرون ولاحظت الكراهية فى عيون الشعب الذى أنصفته وكافحت لكى أرفعه من وهده بؤسه ، وفى ضمائر الأغنياء والنبلاء الذين قلمت مخالبهم من أجله · ونفيت بعضهم من المدينة فأخذوا يهددوننى ويتآمرون على قتلى · واشتد بى اليأس فذهبت الى معبد الاله وتوسلت أمام المذبح أن يحررنى من السلطة ··

المؤرخ : نعم نعم · أدركت صعوبة أن يكون الانسان طيبا فى عالم شرير ·

أدركت بأن الحاكم مهما فعل يظل كريها مكروها ·· فالأغنياء كرهوك لأنك وقفت بجانب الشعب وانحدرت من صلبه · والشعب كرهك لأنك كنت فقيرا مثله وجلست على كرسى الحكم ··

وردد الجميع أغنية تسخر منك :

اطحنى أيتها الطاحونة اطحنى

فقد كان بيتاكوس نفسه يطحن

بيتاكوس الملك فى ميتيلينه العظيمة

طاليس : سمعت الأغنية بنفسى لما زرت جزيرة لسبوس وتوقفت بقرية اريسوس ·

بيتاكوس : هل سمعت كذلك أناشـــيد الحقد والهجاء التى أطلقها الشاعر ألكايوس وعصابته ؟ أنا لم أكرهه ولم أكره شعره · تمنيت أن يضع يده فى يدى ويساعدنى مع غيره من النبلاء على النهوض بالمدينة · لكنهم أنكروا عدلى وشجاعتى التى اعترف بها الاغريق فى كل مكان · لم يغتفروا لى أبدا أننى تزوجت امـــرأة من طبقتهـــم هى ابنة دراكون ومن نســل الأتريديين ، وأخذ الشاعر الحقود يعيرنى بقدمى المفلطحة التى كنت أجرها بصعوبة ، ويصفنى بالدعـى والمتســـخ والمبطون ، بل اشاع أننى اوفر ضوء المصباح وسماني ملتهم الظلمات ··

المؤرخ : ولهذا نفيته عن المدينة ولم ينقطع هجاؤه ولا دعواته للآلهة الأقوياء بأن يخلصوه من محنة المنفـــى ومرارته ، ويطلقوا ربات القصاص عليك ، ويعينوه وعصبته على قتلك بالسيف وتحرير الشعب من آلامه ومخاوفه ، زاعمين أنك حنثت بالقسم الذى قطعته على نفسك وابتلعت المدينة فى جوفك ··

بيتاكوس : ومع أنى عفوت عنهم بعد القبض عليهم ·· فلم يرحمنى التاريخ من وصمة الطغيان ···

المؤرخ : ولا رحمـك المؤرخون ·· فاللقب ارتبط باســـمك فى كل المأثورات · أما « بياس » القاضى من آسيا الصغرى فقد سخا عليه الزمن بلقب الحكيم ··

بياس : معظم الناس أشرار · هذا ما قلته · لما حاصر الياتيس ملك الليديين مدينتنا بريينه أصدرت الأمر بأن يعلف بغلان الى حد التخمة ويساقا الى معسكر الأعداء · وفزع الملك حين رآهما وعرف أن لدينا من مخزون الغلة ما يكفى حتى الحيوانات . ولهذا بعث الينا رسولا يطلب السلم والسلام ··

المؤرخ : وكيف لفظت الأنفاس ؟

بياس : اسمع ياولدى · لما شخت وطعنت بى السن استدعيت للشهادة أمام المحكمة · وتكلمت وابرأت المظلوم من التهمة · وانطلق محامى الخصم وأخذ يدافع عنه فسئمت·وأملت الراس على حجر حفيدى حتى نمت ·· هل بلغك ياولدى مافعلوه بالمظلوم ؟

المؤرخ : براه القضاه من التهمة ، ثم وجدوك ميتا على حجر حفيدك ··

بياس : حمدا للآلهة فقد صدق كذلك ماقلته : ان اردت أن تقيم فى مدينة فكن طيبا مع جميع المواطنين(٦) ·

المؤرخ : لكلمة بليغة من رجل خلدته البلاغة ·· والاسم الرابع هو طاليس الملطى ··

طاليس : أول من نقى الحكمة من سحب الاسطورة وضباب الغيب · أول من سأل سؤال العقل عن المبدأ والأصل وقال ··

المؤرخ : أصل جميع الأشياء هو الماء ، بالآلهة امتلأت كل الأشياء ··

طاليس : وكذلك قلت : اعرف نفسك ·

المؤرخ : ءأنت القائل أم نقشت قبلك فوق جدار المعبد فى دلف ؟ ما أعمقها كلمة ! لكن تتنازعها الأسماء ··

بيرياندر : أى جحود هذا ؟ كيف نسيتم اسمى ؟

الحكماء : مهلا يابيرياندر · هل ينسى الطاغية القاسى من كورنثه ؟ من بلغ الذورة فى القسوة ولهذا احتاج الى الحرس الخاص ؟

المؤرخ : وكان قوامه ثلاثمائة من حملة الدروع والحراب ٠

بيرياندر : اتذكرون صرامتى وتنســـون عدلى ؟ لقد حرمت على المواطنين أن يكون لهم عبيد ٠ نهيتهم عن تبديد الوقت فى اللهو والفراغ وأوجدت لكل منهم عملا ٠ أعلنت الحرب على الترف وعاقبت المتسكعين فى الأسواق ٠ لم اثقل على الناس بالضرائب واكتفيت بما نحصله من السوق والميناء ٠ وزعت اراضى النبلاء على الفقراء ٠ لم أتخط حدود العدل ولم اتعد على انسان ٠ وكرهت الشر والقيت القوادات بقاع البحر ! انسيتم كيف صالحت بين أهل ميتيلينه (تحت قيادة بيتاكوس) وأهل أثينا (تحت زعامة فرينون) عندما تصارعا على ملكية « سيجايون » ففصلت بينهم بالحق ، واحتفظ كل منهم بما كان يملكه ؟ لقد ازدهرت فى عهدى التجارة والحضارة ٠ يكفى أن الشاعر « أريون » كان صديقى !

المؤرخ : اريون الميثمينى من أهالى لســـبوس ؟ من تمت فى عهدك معجزته ؟ اشجى الأصوات غناء فوق القيثار وأول من انشد شعر الديثيرامب وسماه وقدم جوقته فوق المسرح فى كورنثه ؟ لا لن ينساك التاريخ ولن ينساه ٠ لن ينسى معجزته التى رواها علينا ابو التاريخ اذا استقل مركبا كان عليها قراصنة ولصوص تآمروا عليه عندما ظنوه يخفى الكنوز ، مع أنه لم يكن يملك الا قيثاره ! وانطلق يغنى عل غناء الشاعر يسكت فيهم نزعات الشر ٠ جاء الدلفين ـ صديق الانسان على صوت غنائه ٠ وسرعان ما القى الشاعر بنفسه على ظهره فحمله الى البر ورسا به على رأس تانياروس ٠٠

المؤرخ : لا لم ينس التاريخ ٠٠ وكذلك يذكر قولك : كل شىء يرجع الى المران ٠ لكن سؤالا يحضرنى الآن ٠٠

خيلون : قبل سؤالك ، هل يمكن ان تهمل اسمى ؟ أم تهمل تحذيرى : ان ضمنت غيرك حلت بك المصائب · أو لم يين أهالى اسبرطة لى المعبد في الطريق من المغزل الى ابواب المدينة ؟

المؤرخ : وهناك قدسوك ورفعوا ذكر البطل الخالد ·· لكن أرجع لسؤالى : لم آثرتم هذا الكلم الموجز ؟

الحكماء : من يستحسن شأن الكلمة يقتصد فى استعمالها · كانت أيامنا توجب العمل وحسم القرار ، ولهذا بقيت كلماتنا القليلة قواعد لهداية الحياة ،تحذيرات من الوقوع فى الأوهام الساذجة والتسرع فى الثقة بالناس ، نصـــائح باللجوء الى التحفظ والحرص والاعتدال والتزام الحد ··

المؤرخ : لكن بالغتم فى الايجاز · يكفى أن يروى الشاعر «ألكايوس» هذه الكلمة التى يقولها على لسان « أريستوداموس » الذى ضم اليكم فى العصور المتأخرة : « الرجل ــ المال(٨) » ــ وأن يضيف الشاعر « بندار » وكأنه يشرحها : قال هذا عندما اختفى أصدقاؤه مع اختفاء أمـــلاكه ·· يكفى أيضا أن تقرأ كلمات أخرى توحى بتشككم فى الانسان ورؤيتكم للوجه الشائه خلف قناع البهتان : « لا تتطرف فى شىء · » ، « صعب على المرء أن يكون طيبا » « الحد هو الأفضل » ، « أغلب الناس أشرار » ··

الحكماء : هل آمنت بماقلناه ؟ هل صدقت الحكماء ؟

المؤرخ : بل صدقت الأيام الصعبة والأرزاء · مع ذلك فالحكمة أوسع من هذا ··

الحكماء : لم تكن الحكمة فى أيام المحنة شيئا يختص به الشعراء

أو الحكماء · كانت ملك الشعب العامل والفقراء · فالنجار البارع يبنى سقفا يصمد للعاصفة فيصبح أحد الحكماء ·· وكذلك شأن الحوذى أو الخباز أو الملاح أو الشاعر والفنان ·· هل مازلت تسيىء الظن ، توازن بين الآراء ···

المؤرخ : الحكمة والحيرة صنوان ···

الحكماء : فانظر فى الأوراق وراجع · وابدأ قصتنا بالقول المحكم والكلم الرائع · قد يقطع ذلك شكك ويزيل الحيرة ··

المؤرخ : أو ينفع جيلا قد بيعت فيه الكلمة بفتات زائل ، والحكمة صرعت بسهام الخسة والغدر القاتل ···

الحكماء : ولهذا تبقى الحكمة ···

المؤرخ : فى جوف الكتب المنسية ··

الحكماء : أو أعماق القلب ·· ابدأ ياولدى ·· أسمع جيلا يفتقر لحب الحكمة ··

المؤرخ : أو يفتقر الى الحب ····

- ٢ -

المؤرخ : آه ! ·· تتضارب كل الأقوال وتتناقض كل الآراء · الأسماء مختلف عليها من كاتب الى آخر ، والقول الواحد قد ينسب الى اكثر من واحد ···

طاليس : اعرف نفسك ·· هذا ماقلت ··

المؤرخ : بل هذا ما تتصـــوره أنت وبعض الكتاب · هل تعلم أن « تيوفراسط » يرجح أن يكون مثلا شعبيا من قديم الزمان ، وأن بعض المؤرخين يرجعه الى زميلك خيلون ، والبعض الآخر يأتى به على لسان خصى مغمور كان من حراس قدس الأقداس فى معبد دلف ؟ بل ان أرسطو فى محاورته عن الفلسفة ينسبها الى عرافة هذا المعبد(٩) ، وكل هذا يؤكد أنها كانت قد نقشت قبلك وقبل خيلون الاسبرطى على معبد دلف قبل أن يدعيها كلاكما لنفسه ·

خيلون : أنا لم أدع شيئا ·· بل قدمت النذر ووفيت العهد · فبعد أن وصلت الى دلف وضحيت وأحرقت البخور أمرت بأن تحفر هذه الحكم على عمود المعبد : اعرف نفسك ! لاتتطرف فى شىء ! سبب المصائب أن تضمن غيرك ! ····

طاليس : حتى هذه الحكم تقال على لسان غيرك وغيرى ..

المؤرخ : فلنقرأ ما اتفق عليه الاجماع ، فى أقدم قائمة بالأسماء والأقوال ..

طاليس : قل وسيهتف كل منا باسمه !

المؤرخ : اعرف نفسك !

طاليس : طاليس !

المؤرخ : لا تتطرف فى شىء !

صولون : صولون !

المؤرخ : ان تضمن غيرك فتوقع كل مصيبة !

خيلون : خيلون !

المؤرخ : اعرف فضل اللحظة ..

بيتاكوس : بيتاكوس . والأفضل من هذا : اللحظة ان واتتك فلا تتركها تفلت منك !

المؤرخ : معظم الناس أشرار .

بياس : بياس . عن تجربة ، وبحق زيوس ، ما قلت !

المؤرخ : كل شىء يرجع للمران .

بيرياندر : بيرياندر . عن تجربة أيضا ، والآلهة شهود !

المؤرخ : تبقى حكمة كل الحكمة ، قائلها المجهول يلخص فيها ...

كليوبولوس : كليوبولوس .. هذا هو كليوبوليس ! كيف تجاهل هذا الزمن الجاحد ابن أويجاروس ، من لندوس فوق جزيرة

رودوس ؟ كيف تناسي من كتب النقش علي قبر ميداس الملك الأسطورى ··

المؤرخ : ميداس ؟ من أعطاه ديو نيزيوس أن يتحول ما يلمسه ذهبا ·

صولون : حتى المطعم والمشرب · مسكين ياميداس !

كليوبوليس : كانت فوق القبر المشهور فتاة أخذت شكل الهولى ، ولهذا قلت : فتاة من البرونز أنا وأرقد على قبر ميداس ، مادام الماء يسيل ، والشجر يخضر ، والقمر يطلع ويضىء ، والشمس تنير الكون ، مادامت الأنهار تتدفق ، وموج البحر يوشوش للشاطىء ، فسأبقى فى هذا الموضـــع ، فوق التل المرتفع على المنطقة المنكوبة أعلن للعابر ولكل مسافر هاهنا يرقد ميداس تحت الثرى

المؤرخ : لم ينس التاريخ كذلك أشعارك ، لم تتسرب ألغازك من كفيه ··

صولون : لكن تبقى حكمته أخلد ما قال ··

كليوبوليس : قلت من الحكم كثيرا ·· أية واحدة تقصد ؟

المؤرخ : الحد هو الأفضل ··

الحكماء : هى حكمتنا ، كنز العقل الاغريقى وآية وجدانه ، اكلمته للعالم أجمع ·

المؤرخ : ولهذا ليس عجيبا أن يلتقط الحكمـــاء الكلمـــة ، من كل الأجناس وكل الأديان يقول العقلاء فلا يسمع قول : لاتتطرف ! لا تشتط ! الزم حدك ·· واعرف أنك انسان ··

الحكماء: انسان فان · لست الها ، فتذكر هذا واترك سيف الطغيان، يسقط من يدك فلست سوى بشر فان !

المؤرخ : حقا ! هذا شىء أكدتموه أيها الحكماء وأجمعتم عليه ٠ وعندما اجتمعتم كما يقول القدماء ٠٠

الحكماء : اجتمعنا ؟ أجل أجل ! عند الملك كرويزوس ٠٠

المؤرخ : أو قارون ٠ أغنى ملك فى عصره ٠٠

الحكماء : وتكلم صولون فقال :

صولون : أنا ؟ للملك كرويزوس ٠ ذاكرتى ضعفت ياولدى ٠٠

المؤرخ : سأذكرك فانصت ٠٠

- ٣ -

المؤرخ : كانت أعينكم تلتفت الى الشرق الساحر باستمرار ، الشرق الغامض ذى القوة والترف الباذخ والجبروت ٠

الحكماء : لكننا ذهبنا اليه لنتعلم أيضا ٠

المؤرخ : وتعلمتم الكثير ٠ وان كنا نفتقد الأدلة والأسانيد ٠

طاليس : أنا مثلا سافرت الى مصر ٠٠

المؤرخ : وتعلمت الرياضة وجلبت الهندسة الى الاغريق ٠٠ اما أنت ٠٠

صولون : أنا طوفت بآسيا لأشاهد هذا العالم ٠ وحديثى مع كاهن مصر الشيخ حديث مشهور ٠٠ كـــم يعجبنى حين أفكر فيه الآن ٠٠

الحكماء : أنا مازلنا أطفالا ؟ ٠٠ رغم مرور قرون وقرون ؟ !

صولون : ولماذا الغضب وقد صدق الشيخ ؟

الحكماء : أم سخر كعادة أبناء النيل ؟

صولون : بل صدق وحق زيوس ٠ وامتدح الاغريق مديحا أتمنى لو كانوا أهلا له ٠ أطفال نحن وفى كل منا طفل ٠٠

الحكماء : وتريد من الحكماء السبعة أن يصدقوه ؟ انت ياصولون ؟

صولون : من قال بأن الحكمة تعنى العجز أو الشيخوخة ؟ من ينكر حكمة الطفولة وطفولة الحكمة ؟ أليست حكمتنا فى بساطتنا ، وبساطتنا هى التى جعلتنا نصمد لتحدى الملك الجبار ونواجه قوته وغناه الفاحش بالبراعة والقناعة والحكمة ؟

المؤرخ : معذرة ياصولون · ولقد أدهشـــته بالبراءة الحكيمة أو بالحكمة البريئة وتعجب مما قلت وغضب وثار · نريد الآن أن نعرف ماذا قلت لهذا الملك وماذا قال ، كيف التقيت به وأين كان اللقاء · ·

صولون : لم أرد وحدى · طلب لقاء الحكماء السبعة ·

المؤرخ : وذهبتم لزيارته · وذهلتم لما رأت العين كنوزه ·

الحكماء : ورثينا له ··

المؤرخ : لأغنى ملك فى الأرض ؟

الحكماء : ورفضنا أن يوصف هذا الملك بأسعد انسان · فليتكلم عنا صولون ··

المؤرخ : أرجوك ·· تكلم ···

صولون : لما فرغ كرويزوس من اخضاع آسيا الصغرى بأكملها وضمها الى مملكة الليديين ، زحفت حشود الاغريق الحكماء الى عاصمة ملكه المزدهرة ساردیس ، وزحفت كذلك معهم · كنت قد ذهبت الى مصر التى يحكمها أمازيس وشاهدت العالم وتجولت فيه عشر سنوات · واستقبلنى الملك فى قصره مع بقية اخوانى فأحسن الاستقبال · وفى اليوم الثالث لزيارتنا أمر

الملك خدمه وعبيده أن يأخذونا الى دهاليزه ومخازنه لنتفرج على التحف والكنوز التى أودعها فيها · ثم رجع بنا الخدم والعبيد الى قاعـــة العرش حيث كان الملك يجلس فى أبهته محاطا بأعوانه وقواده وأعيان مملكته · لم يكد يرانى حتى هتف صائحا : « ايها الضيف من أثينا · وأنتم أيها الضيوف ! وصلتنا عنكم وعن حكمتكم الأخبار · وسمعنا عنك ياصولون وعن أسفارك التى قمت بها حبا فى الحكمة · والآن تحركنى الرغبة فى أن أسألك : هل رأيت فى أسفارك أحدا يمكن أن يوصف بأنه أسعد انسان ؟ » ·

لم يخف على أن الملك وجه الى هذا السؤال وفى نيته أن أقول أنت أيها الملك الغنى العظيم أسعد انسان · لكننى لم أتملقه بل صارحته بحقيقة رايى : ايها الملك ! انه تيلوس الأثينى ! » تعجب الملك من قولى وأسرع بالسؤال : « وكيف حكمت بأن تيلوس هذا هو أسعد انسان ؟ » قلت : « عدة أسباب يامولاى · أولها أن كان لتيلوس هذا عدة أبناء تحلوا بالذكاء والصلاح والجمال ، ولقد سعدت عيناه برؤية أبنائهـــم فى حياته · والثانى أن الرجل بعد ان تقدم به العمر وعاش أطيب حياة ممكنة مات كذلك فى النهاية أروع ميتة ممكنة · فقد شارك مواطنيه الاثينيين فى الحرب التى اشتبكوا فيها مع جيرانهم فى ايلويزيس ، وطارد الأعداء الذين فروا مهزومين ، ومات أثناء هذه المطاردة أجمل ميتة · ودفنه الأثينيون حيث سقط صريعا على نفقة الدولة ، وكرموه وأقاموا له طقوس التوديع والاجلال » ·

استمع الملك الى قصة تيلوس وهو يعض على شفتيه وأسنانه · سكت قليلا ثم غالب غيظه وسأل · « ومن هو أسعد انسان

رأيته بعد تيلوس ؟ » قلت : « هما اثنان أيها الملك العظيم • » قال فى لهفة : « احك على قصتهما ياصولون» • قلت : هما كليوبيس وبيتون • كانا من حيث المولد من ارجوس ،ولهذا وجدا مايكفيهما للحياة • وكان كلاهما حسن الصورة قوى الجسد ، وحصلا على جوائز كثيرة فى المسابقات الرياضية • تسألنى يامولاى أن أحكى قصتهما ؟ انهما سيغنيانى عن هذا ويرويان القصة بنفسهما •

كليوبيس وبيتون : كان أهالى أرجوس يحتفلون بعيد هيرا،ربةالسماء وسيدة الآلهه وشقيقة زيوس وزوجته • وكان علينا أن نذهب بأمنا المريضة الى معبد الالهة للتبرك وزيارة قدس الاقداس • لكن الثيران التى تجر العربة التى تستقلها لم تكن قد رجعت بعد من الحقل • وضاق الوقت عن الانتظار فوضعنا رقابنا فى النير وجررنا العربة التى حملتها الى الاحتفال مسافة خمسة وأربعين فرسخا(١٠) حتى بلغنا المعبد • ورآنا الناس على هذه الحال فهللوا • لكن الأنفاس تخلت عنا فختمنا حياتنا الفانية أجمل ختـــام • وأثبت الاله بموتنا أن من الأفضـــل للانسان أن يموت على أن يحيا دون وفاء او احسان • فقد التف أهالى أرجوس حولنا وأثنوا على قوتنا وشبابنا وراحوا يحيون أمنا العجوز ويهنئونها بابنيها • أما الأم التى أفعم فؤادها الفرح فقد وقفت أمام تمثال الالهة وأخذت تبتهل اليها أن ولديها أفضل مايمكن أن يلقاه الانسان • وبعد ان أدت الصلاة تقدمنا نحن وضحينا للربة وأكلنا مع الآكلين ، ثم أرحنا أجسادنا المنهكة على أرض المعبد ولم نقم من رقدتنا أبدا وأقام لنا الأرجيون تمثالين نصبوهما بعد ذلك فى معبد دلفى ليضمنا لنا الخلود » •

استمع الملك الى فى هدوء ثم قال :

كرويزوس : أيها الضيف القادم من اثينا · أهكذا تبدو سعادتي في نظرك هباء ولا استحق أن تسوى بيني وبين عامة الناس ؟»عرفت مقصده فأجبت في خشوع : مولاى الملك كرويزوس · تسألنى عن حياة الانسان ومصيره وأنا لا أعلم الا أن احكام الآلهة غامضة وأن مقاديرهم مظلمة الأسرار · هب أن الانسان يعيش سبعين سنة ـ وهى الحد الذى أضعه لعمر البشر على الأرض فكم عليه أن يرى في حياته مما لم يكن يريد رؤيته ، وكم يتحمل من آلام ويقاسى ؟ واذا أكمل السبعين ، فقد عاش خمسة وعشرين الف يوم ومائتين ، هذا دون حساب للشهر الزائد · فاذا اضفت شهرا لكل سنتين ، حتى تتواءم فصول السنة مع بعضها،فلقد قدرت على مدى السبعين سنة خمسة وثلاثين شهرا زائدا ، ومن الأيام على قدر السنوات السبعين كانت ستة وعشرين ألف ومائتين وخمسين يوما ، ليس فيها يوم واحد يشبه ســـواه · هكذا ترى ياكرويزوس ان حياة الانسان مصادفة بحتة ـ وها أنتذا ملك غنى واسع الثراء ، تتحكم في بشر لا يحصيهم عد · لكن سؤالك ان كنت سعيدا لا أملك عنه الآن جوابا ، لا أملك هذا حتى أسمع انك أنهيت حياتك خير نهاية · فليس الغنى الفاحش الغنى بأسعد ممن لايجد سوى قوت يومه ، الا أن يواتيه الحظ فينتهى أجله وهو متمتع بأملاكه وجميع خيراته · ما أكثر الأغنياء الأشقياء وما اكثر الراضين بنصيبهم القليل · فالغنى الذى يشعر رغم غناه أنه تعس وشـــقى يتقدم خطوتين على المغتبط بحظــه الطيب ، أما هذا فيتقـــدم على الغنى خطوات وخطوات · والأول يمكنه أن يحقق الرغبة التى تعتمل في نفسه ، وتحمل الأذى الذى يصيبه ، أما الثانى فلا يسعه أن يطمع فيمايطمعفيه الأول او يتحمل ما يتحمل ، فقدره الطيب قد أغناه عن الطمع

ووقاه الأذى والضرر · اضف الى هذا أنه لا يشكو ضعفا ولا علة ولا ألما ، وان الحظ باركه بالبنين وجمله بالجمال · فاذا حسنت خاتمته وانهى حياته نهاية جميلة ، فهو الذى تبحث عنه أيها الملك ويستحق ان يوصف بأنه سعيد · وعلينا ان نحترس فلا نقول عنه أثناء حياته وقبل موته انه سعيد ، بل يجب أن نكتفى بقولنا انه طيب الحظ · من المستحيل على الانسان الواحد أن يملك كل شىء ، ومن المتعذر على أى بلد أن يكفى نفسه من كل شىء . فلديه شىء وعليه أن يحصل من بلد آخر على شىء وكلما زاد نصيبه مما لديه كان هذا أفضل · ويصدق الامر نفسه على الفرد الواحد · فهو لا يكفى نفسه بنفسه ، وهو يملك شيئا ويفتقر الى شىء آخر أما من كان لديه ما يكفيه حتى آخر عمره ثم ختم حياته ختاما حسنا فذلك . يامولاى ، هو الذى يستحق ان يوصف بأنه انسان سعيد · يجب علينا ان ننظر الى نهاية كل شىء ، فما أكثر الذين منحهم الاله شيئا من السعادة ثم غير أحوالهم رأسا على عقب ·· هكذا ختمت حديثى للملك ·

المؤرخ : ولم يعجبه كلامك ولارضى عنك ··

صولون : قاطعنى ولم يكترث بوجودى ولابقائى أو رحيلى · اقتنع بأنى أحمق وأن الأحمق من يتخلى عما بين يديه وينظر فى نهاية كل شىء(١١) ·

المؤرخ : وليته نظر فى نهايته هو ··

الحكماء : بل ليته حاول أن يفكر فيما قاله عزيزنا صولون · لقد تجهم وجهه واربدت ملامحه بسحابة سوداء كثيفة أطبقت عليها وحولته الى وحش كاسر · نظر الى زميلنا « بياس » والشرر يتقد من عينيه الغاضبتين وسأله :

كرويزوس : هل هذا رأيك ايضا ؟ أتعتقد أن صاحبك قد اجاب بالحق ؟

بياس : بالحق وبالعدل أجاب يامولاى • لقد أراد ان يرى الكنوز التى فى نفسك فلم يجد الا الكنوز التى فى يدك •

كرويزوس : أترد على مثله بالألغاز ؟ أريد منك جوابا قاطعا : ماذا يقصد بكلامه ؟

بياس : أن البشر تسعدهم كنوز النفس لا كنوز الذهب والفضة ••

كرويزوس : اذا كنتم لاتقدرون السعادة ولا الثروة الحقيقية بما أملكه من كنوز ، ألا ترون ان عندى من الاصدقاء والأنصار أضعاف ماعند أى ملك أو حاكم آخر ؟ هذا واحد منهم جاء الى من أثينا • أيها العبيد ! أحضروا الكميون •

الحكماء : وفجأة فتحت الأبواب وظهر انسان عجيب وسط عدد من الحراس والعبيد • كان يبدو تائه العينين زائغ البصر • وبدا عليه الاضطراب وكأنه قد عجز عن السير خطوة واحدة • فقد انتفخ ثوبه الواسع بصورة مذهلة كأنه بطن امرأة أوشكت على الوضع • وعندما دفعه الحراس وشدوه قريبا من الملك ، وقعت أبصارنا على شعره الذى حشاه بسبائك الذهب ، بل لقد تعجبنا من انتفاخ أوداجه وأدركنا انه حشا فمه بقطع ذهبية صغيرة سقطت احداها على الأرض عندما حاول أن يسعل • وهلل الملك وصاح وهو يتلوى من الضحك :

كرويزوس : قل لهم يا الكميون ! الست أسعد انسان ؟ ألم تصبح أنت أيضا أسعد انسان بعد أن سمحت لك بزيارة كنوزى وأخذ ما تستطيع أخذه منها ؟ الا يكفى هذا الذهب الذى حملته فى ثيابك ودفنته فى طيات جسدك وحشـــوت به فمك أن يجعلك

سعيدا ؟ أم أن المفلسين والجوعى أسـعد منك وأحكم ؟ ٠٠
حاول ألكميون أن يضحك فسقطت قطع الذهب من فمه ورنت على الأرض ٠ وازداد ضحك الملك فقلنا له :

الحكماء : العقل هو أعظم الكنوز ٠ والسعيد من يبقى سعيدا الى النهاية ٠٠

المؤرخ : نعم نعم ! ليت الملك فكر عندئذ في نهايته ٠٠٠

الحكماء : تكلم ٠ ماذا حدث له ؟

المؤرخ : تمضـــى الأيام فيغزو قورش الثانى ملك الفرس مدينـة سارديس عاصمة المملكة الليدية ، ويأسر كرويزوس بعد أن حكم أربعة عشر عاما وحوصرت عاصمة ملكه أربعة عشر يوما (١٢) ٠ ويحضره الجنود مقيدا فى الأغلال فيمثل بين يدى الملك الذى أمر بتجهيز المحرقة ووضع الأسير عليها مع سبعة من شابب الليديين ٠ ربما قصد قورش من وراء ذلك أن يقدمهم قربانا لالهه ، أو يفى بوعد قطعه على نفسه ٠ وربما بلغه أن كرويزوس كان ورعا تقيا ، فأراد باحراقه حيا أن يختبر قدرة الهه على انقاذه ٠ مهما يكن الأمر فقد أصدر قورش أمره فلما أن وقف الملك المسكين على المحرقة خطر على باله وهو فى محنته ما قاله له صولون : مامن حى يمكن أن يوصف بأنـه سعيد ٠ وانكشفت له الحجب فتأوه بعد صمت طويل وهتف ثلاث مرات : صولون ! صولون ! صولون ! سمع قورش صيحته فطلب من المترجمين أن يسـألوه عن الأسـم الذى استغاث به ٠ وتقدم منه المترجمون وسألوه فلاذ بالصمت طويلا قبل أن يقول : « هو انسان كان حديثه أقيم من كل ماملك جميع الطغاة من ثروات عظيمة ٠ » بدا لهم القول لغزا فألحوا

عليه بالسؤال عما يقصد · وبدأ الملك المنكوب يروى عليهم كيف حضر اليه صولون الأثينى ·

كرويزوس : ها أنت قد رأيت كنوزى · ما رأيك ياصولون ؟

صولون : رأيى ؟ فى أى شىء يامولاى ؟

كرويزوس : هل آمنت بأنى أسعد انسان ؟

صولون : ربما تكون سعيدا والحظ الطيب يرعاك · لكنك لست بأسعد انسان ·

كرويزوس : ومن فى رأيك هو أسعد انسان ؟

صولون : هو من بقى سعيدا حتى آخر عمره · قبل حلول الأجل بلحظات يمكن أن ينقلب الحال ويصبح أشقى الناس ··

كرويزوس : غضبت عليه وصحت : يالك من اغريقى فظ · أتضن على بالسعادة بعد كل ما رأيت من كنوزى وأملاكى !

صولون : ستكون سعيدا لو حضرك الموت وهى ملك يمينك ··

كرويزوس : وها أنذا أذكره الآن وأذكر ماقال · أتذكر حكايته عن الأب الذى سعد برؤية ابنائه والموت فى سبيل وطنه،وعن الولدين اللذين جرا العربة التى حملت أمهما الى المعبد بدلا من الثيران ثم ماتا راضيين بعد أن أدت الصلاة ان كلمات هذا الأثينى لم تصدق على وحدى · أعرف الآن أنها تصدق على كل انسان خصوصا من زينت له الأوهام أنه أسعد السعداء ··

المؤرخ : استمع قورش الى حديث كرويزوس · كان الملك الاسير يقف صلبا متجلدا فوق المحرقة والنيران تئز حواليه وتطلق شررها عليه · وتفكر قورش فيما قاله المترجمون · وحدثته

نفسه قائلة : حقا ان كلمات الملك المنكوب لا تنطبق عليه وحده . ها انذا انسان مثله ، أحسب نفسى منتصرا أو سعيدا ، أسلم للنار انسانا لم يكن أقل منى سعادة . من يدرى ؟ هل تقتص الأقدار منى ؟ من يضمن أن لايحدث لى ما يحدث له ؟ آه ! من يضمن شيئا فى هذا العالم ؟ لاشىء أكيد فيه ، لا أمان للحياة ! ونظر الى الملك الذى التفت حوله النيران فأمر بأن تطفأ على الفور وينزل هو ومن معه من فوق المحرقة .

وحاول الجنود أن ينفذوا أمر الملك ، لكنهم عجزوا عن السيطرة على النار . ولاحظ كرويزوس ان الملك غير رأيه ، وان الخدم والحشم يكافحون النار ولايستطيعون اطفاءها فاستغاث بأبوللو وهو يصرخ : ان كنت تذكر تضحياتى وهداياى اليك ، ان كنت قد استطعت أن أرضيك ، فاذكرنى فى محنتى وخفف عنى الويل . ألطف بى يارب النور الساطع واكشف عنى ضنك الليل . وبكى كرويزوس كما لم يبك فى حياته . وابتهل وتمتم بالدعوات وسالت أنهار دموعه . ورفع بصـــره الى السماء الصافية فوجدها تتلبد فجأة بالسحب المظلمة .

وخطف البصر بريق البرق . وانهمر المطر ســـيولا أطفأت النار . كان قورش ورجاله يتابعون المشهد وهم يحبســـون الأنفاس . وعرف الملك الجبار أن أصاب الملك المنكوب يشف عن انسان طيب . وصاح بالرجال أن يعجلوا بانزاله من فوق المحرقة . وقربه منه وسأله وهو يشد على يده : كرويزوس . من حرضك على محاربة بلادى ومعاداتى بدلا من أن تكون صاحبى وصديقى ؟ قال كرويزوس : أيها الملك .. فعلت هذا لما حالفك الحظ وخاصمني والذنب في هذا هو ذنب اله الاغريق

الذى دفعنى الى الحرب . وليس يفضل الحرب على السلام الا الاخرق والأحمق .ففى ظل السلام يدفن الابناءآباءهم،أمافى الحرب فيوارى الآباء أبناءهم التراب . لكن الآلهة اختارت . شاءت هذا ومشيئتها كانت . هكذا قال . ومد قورش يده ففك قيوده وأجلسه بجانبه وأظهر له المودة والهيبة والكرامة . وتطلع اليه الملك والحاضرون باجلال واعجاب ..

الحكماء : لا تقل انك مادمت حيا .. والانسان لا يأمن ما تاتى بـه الحياة قبل لحظات من مفارقة الحياة ..

- ٤ -

المؤرخ : لم يستجب الطاغية الشرقى لحكمتكم بل ثار عليكم واتهمكم بالحمق ، وربما يكون قد طردكم من قصره ومملكته ٠ وتفرقتم ياحكمائى السبعة ورجع كل منكم الى بلده ٠ لكن هل سكت عنكم الطغيان ؟ وهل خلت بلادكم من الطغاة والمستبدين ؟ تكلم ياصولون !

صولون : لا تنكأ جرحى ياولدى ٠٠

المؤرخ : كيف واجهت العاصفة والبركان ؟ ماذا فعلت حكمتك أمام الطغيان ؟ هل لجأت الى جدار يحميك ، أم نفيت نفسك بنفسك ، أم نفاك الطاغية من أثينا ؟

صولون : بيزيستراتوس ؟ نعم نعم ٠ لقد انتزع السلطة لنفسه وأقام حكمه المطلق ٠ لم يقف فى وجهه أحد ممن كنت أتوقع أن يقاوم استبداده ٠ أما التشريع الذى وضعته لاصلاح أمور أثينا فلم يمسه ٠ ولكنه تركه يبدو وكأنه قد أضر بها بدلا من أن ينفعها ويقر السلام بين أبنائها المتصارعين ٠ وتركت أثينا ورحت أتنقل بين البلاد ٠٠٠

المؤرخ : تتنقل وحدك ؟

صولون : لم اكن وحدى ابدا · فالحكماء دائما معى · ومن لم استطع زيارته كتبت اليه وتشاورت معه(١٣) ··

المؤرخ : وهل رد عليك أحد ؟

صولون : لم يكتفوا بالرد · بل دعونى للاقامة معهم ، أو عرضوا الحضور الى والاقامة معى · لا لم اكن وحدى ابدا ·· كان معى طاليس وبياس واكليوبويس و ··

المؤرخ : نريد ان نسمع ما قلته لهم فى رسائلك · فبمن تبدأ ؟

صولون : ابدأ بالكاهن الذى خلص اثينا من لعنة الطاعون ·

المؤرخ : ابيمينيدس ؟ الكاهن الكريتى ؟

صولون : نعم · فقد كان أول من كتبت اليه ··

المؤرخ : وبدأت بقولك ان القوانين التى شرعتها للأثينيين لم تستطع أن تساعدهم كثيرا ، كما لم يستطع هو نفسه أن يساعدهم برفع اللعنة عنهم · فالشرائع والطقوس لا قيمة لها فى ذاتها ، لأنها تستمد قيمتها من الحاكم الذى يطبقها ، فان صادفت الحاكم السيىء انعدمت فائدتها · ولم تكن القوانين والنظم التى وضعتها لتشذ عن ذلك · بيد أن المسئولين قد أضروا بالصالح العام للمدينة حين تقاعسوا عن الوقوف فى وجه بيزيستراتوس الذى استبد بالسلطة ·

صولون : وأسفاه ! لم يصدق أحد نبوءتى · وثق الأثينيون بنفاقه لهم ولم يثقوا بحقيقتى ·

المؤرخ : وذهبت الى القاعة التى تجمع فيها القواد وألقيت بأسلحتك أمام الباب وقلت :

صولون : اننى أحدكم من أولئك الذين لم يلاحظوا أن بيزيستراتوس قد صمم على أن يكون طاغية . وأشجع من اولئك الذين ترددوا عن مقاومته . خرج القواد وهم يلوحون فى وجهى قائلين : انك أحمق ياصولون . قلت محتجا : ياوطنى . أنا . صولون . على استعداد لحمايتك بالكلمة والفعل ـ ومع ذلك فهم يعتبروننى مجنونا . ولهذا سأغادر بلدى وأنا الخصم الوحيد لبيزيستراتوس . عليهم ان شاءوا أن يجعلوا أنفسهم حرسه الخاص أما انا فلن أبقى .

المؤرخ : وهل فعلوا هذا ياصولون ؟

صولون : لقد استغل دهاءه فى التغرير بهم والاستبداد بالسلطة . ابتدأ بتمثيل دور القائد والزعيم . ثم جرح نفسه وذهب الى قاعة المحكمة وهو يصرخ مؤكدا أن خصومه قد اعتدوا عليه ، وأن على المجلس أن يعين له أربعمائة حارس شاب . ورفعت صوتى معترضا ولكنهم لم يستمعوا الى ، بل وافقوا بالاجماع على تعيين الحراس . وكان أن الغى الديموقراطية ، واستعبد الفقراء الذين حررتهم أنا من الديون والسخرة وضاعت جهودى هباء ، فهم الآن عبيد فرد واحد اسمه بيزيستراتوس .

المؤرخ : ومرت الأيام واستقر حكمه الفردى المطلق وجاءك رد صديقك الذى حاول أن يعزيك ويحيى الأمل فى نفسك ..

ابيمنيدس : صبرا ياصديق ! لو كان بيزيستراتوس قد وجه ضربته للأثينيين وهم لايزالون عبيدا وقبل أن يعرفوا القوانين الصالحة لأمكنه ان يقبض على السلطة ويحتفظ بها عن طريق استعباد المواطنين . لكنه الآن يحكم فى عبيد ، فالرجال الذين يحكمهم يتفكرون في تحذيرك ياصولون وهم خجلون متألمون .

انهم لايتحملون الطغيان ، لأن من المستحيل على من عرف الحرية فى ظل افضل القوانين أن يرضى بالعبودية أو يحيا حياة العبيد ٠

المؤرخ : ويشفق عليك الصديق من مشقة التجوال والترحال فيقول ٠٠

ابيمنيديس : لا تتنقل بين البلاد تعال الينا هنا فى كريت ٠ ستحيا معنا فى أمان ولن تحتاج الى الخوف من سيد مطلق ٠ أما ان أصررت على اسفارك فأخشى أن يلقاك أنصاره ويصيبك مكروه ٠٠٠

المؤرخ : لم تكن هذه هى الدعوة الوحيدة ٠ فلم يكد طاليس يسمع عن عزمك على ترك أثينا حتى دعاك الى الحضور الى ملطيه حيث تعيش وسط أهلك الذين سبقوك الى تعمير هذه المدينة ٠

طاليس : يمكنك أن تعيش هنا مطمئنا بلا خوف ٠ واذا كان يؤلمك أن يكون الحاكم هنا طاغية ــ فأنا أعلم مدى كرهك لجميع الطغاة ــ فسوف يسعدك أن تعيش هنا مع أصدقائك ٠ لقد بلغنى أيضا أن بياس قد دعاك للذهاب الى بريينه ٠ فان آثرت الاقامة فى هذه المدينة فسوف أنتقل اليها ٠٠

المؤرخ : وتنافس الأصدقاء فى الوقوف بجانبك ٠

صولون : نعم ! كان لى أصدقاء عديدون ٠ فى كل مكان كنت أشعر أننى فى بيتى ٠

المؤرخ : وهذا ماكتبه لك كليوبوليس ٠ ثم أضاف قوله :

كليوبوليس : اعتقد أن ليندوس الديموقراطية ستكون أحب مكان الى قلب صولون ٠ فالجزيرة تقع على البحر ٠ من سكنها فهو

أمن من شر بيزيستراتوس ، وسوف يحج اليك الأصدقاء من كل ناحية ..

المؤرخ : وعز على الطاغية أن يشهر به فى كل مكان ، وأن يقف مكتوف اليدين أمام الخصم الذى خدم مدينته وأجمع الناس على اجلاله . وتسابقت المدن على الترحيب به ، ولهذا أسرع بالكتابة اليك وراح يدافع عن حكمه ويبرر استبداده ..

صولون : ويلح كذلك فى عودتى الى الوطن ...

المؤرخ : فلنقرأ رسالته العجيبة ..

بيريستراتوس : لست أنا الاغريقى الوحيد الذى استبد بالحكم الفردى المطلق . ثم أنه وصل الى ، لأننى أنحدر من نسل كودروس(١٤) . هكذا أكون قد استرددت ما تعهد به الأثينيون لكودروس وذريته وان كانوا مع ذلك قد عادوا فسلبوه اياه . أضف الى هذا اننى برىء من الذنوب فى حق الآلهة والبشر . وكما شرعت للأثينيين قوانينهم ، فسوف أترك حياتهم تسير بمقتضاها ، وبهذا يحكمون حكما أفضل من الديموقراطية ذلك أننى لن أسمح بأى تعد على الحدود المرعية ، كما أننى لا أستأثر لنفسى بأى شرف أو تكريم باستثناء ما كان يتمتع به الملوك السابقون وقد فرضت على كل أثينى أن يسدد العشور عن أرضه ، لا لكى آخذها منه ، بل لكى تحصلها الخزانة للانفاق على القرابين العامة وغيرها من أوجه الانفاق كما فى حالة الحرب .

اننى لا ألومك لأنك كشفت عن خطتى ، اذ فعلت هذا عن حب للدولة اكثر مما فعلته عن كراهية لى ، ثم لأنك لم تكن تعلم أى نوع من الحكم سوف أقيمه . ولو علمته فلربما رضيت

به ولم تهاجر ٠ ارجع اذا الى وطنك وثق بى ، حتى بغير أن اقسم لك قسما واضحا بأنه لن يصيب صولون أى مكروه من بيزيستراتوس ٠ واعلم اننى لم انــل أى واحد من أعدائى بأذى ٠ فان شئت أن تكون أحد اصدقائى ، فسوف تكون اولهم فى المكانة عندى ٠ فأنا لا أجد فيك خيانة ولا خداعا ٠ وانى لأضمن لك أن تحيا فى أثينا أى حياة ترضاها ٠ ولست أحب أن تفقد وطنك بسببى ٠٠

المؤرخ : ثقة بالنفس لم نعهدها فى طاغية ٠٠

صولون : ولهذا قابلتها بثقة لاتقل عنها ٠٠ ثقة الحكمة فى نفسها ، مهما كانت عزلاء ومنفية ٠٠

المؤرخ : وكتبت اليه ولم تخش غضبه ٠٠

صولون : بل وعملت على اشعال وقوده ٠٠ أعتقد انه لن يصيبنى منك شر ٠ لقد كنت صديقك قبل أن تنفرد بالسلطة وتصبح طاغية ، ولست الآن بأكثر عداء لك من أى أثينى آخر لايعجبه حكم الطغيان ٠ وسواء أكان الأفضل لهم أن يحكمهم فرد واحد أم أن يعيشــوا فى ظل الحكم الديموقراطى ، فســوف نترك تقدير ذلك لكل منا حسب علمه ٠ انى لأعترف بأنك أفضل الطغاة جميعا ، اما أن أعود الى أثينا فلن أستحسن ذلك أبدا لقد منحت المساواة للأثينيين دون تفرقة ، وكان فى امكانى أن أصبح طاغية ، لكننى أبيت ذلك على نفسى ، وسوف يوجه الى اللوم لو رجعت الى وطنى وقبلت ماتفعله ٠٠

المؤرخ : مبلغ علمى أنك لم ترجع اليه ولم تقبل مافعله ٠٠

صولون : وفضلت أن أبقى غريبا أغير بلدا ببلد ، والقى صديقا بعد صديق ٠٠

المؤرخ : رحم ذلك التقيتم فى مأدبة الحكماء السبعة ..

صولون : مادبة واحدة ؟ هل انت بخيل كالتاريخ ؟

المؤرخ : كانت فى دلف أو فى قصر كرويزوس ..

صولون : أو أى مكان آخر .. المهم أننا التقينا .. وشربنا .. وغنينا ..

المؤرخ : وتباريتم وتناقشتم ..

صولن : حقا ؟ من أكثرنا شربا أو أكثرنا جلدا أو صبرا ...

المؤرخ : بل من أحكمكم ياحكماء ...

صولون : عجبا .. ولمن سيكون الحكم ؟

المؤرخ : لذتى مجهول يبحث عنكم .. ويفتش فى كل مكان عن كلمات صدرت منكم .. حتى تهديه الريح اليكم .. ويقدم أعجب شىء عثر عليه الصيادون ...

- ٥ -

المؤرخ : فى أركاديا . جنة الرعـــاة والرعويين ، كان العجـوز باثيكليس يرقد على فراش الموت منذ شهور · واشتد عليه المرض ففتح عينيه بصعوبة واتكأ على ذراعه وأسرع اليـه الخادم الذى يسهر على راحته وهمس له :

الخادم : هل تطلب شيئا يامولاى ؟

باثيكليس : تعرف ما أطلب · ألم يصل منهم أحد ؟

الخادم : لابد أنهم فى الطريق · اصبر قليلا ··

باثيكليس : وهل يصبر على ؟ لقد رأيته الآن فى نومى ··

الخادم : من ؟ ابنك أمفالكيس ؟

باثيكليس : بل خارون ياغبى · يقف وسط النهر العكر الكســـول ويشير الى ويمد ذراعيه لكى يحملنى على عنقه ويعبر بى الى بيت الظلال ··

الخادم : انتظر ياسيدى ·· انتظر أنت أيضا ياخارون ·· ربما يكون الطارق ·· (يسمع طرق شديد على الباب ··)

باثيكليس : افتح ·· افتح ·· ليته يأتى الآن ··

الخادم : (وهو يفتح الباب) سيدى ·· تنتظر واحدا ·· وهاهم ثلاثة ! مرحبا ·· مرحبا ··

باثيكليس : أولادى ! ··

المؤرخ : ويسرع الأولاد الثلاثة بالدخول ، ويعانقهم الاب فيبللون خديه ويبلل خدودهم بدموعه · ويقولون بين الضحك والبكاء :

الولد الأكبر : تفرقنا فى البلاد ثم التقينا · وجمعنا مااستطعنا جمعه من حكم الحكماء السبعة ··

الولد الأصغر : وقدرت « توخيه » الهة الحظ والنصيب ان نجدك يا أبى ··

الأب : وأنا فى آخر أنفاسى ·· هيا اسمعونى ياأولادى · فخير ما يغمض عليه المرء عينيه وأذنيه هو الحكمة ··

الولد الأكبر : بل حكم لا حصر لها يا ابتى ··

الولد الأصغر : يحفظها الشعب ويذكرها فى كل مكان ··

اللود الأوسط : يتركها الاب لأبنائه ·· انفس كنز يمكن أن يوصى به ··

الأب : عندى كنز آخر اوصى به ··

الولد الأكبر : المزرعة وحق زيوس !

الولد الأصغر : بل معصرة الزيت !

الأب : شىء آخر ·· هو فى مخبئه الآن ··

الولد الأكبر : ومتى تظهره ؟

الولد الأصغر : ولمن توصى به ؟

الأب : لأحكم رجل حاز كنوز الحكمة ..

الولد الأكبر : هل هو أحد منا ؟

الولد الأصغر : ماذا قلت ؟ نحن جمعنا حكم الحكماء ولسنا بالحكماء .

الأب : فلنسمعها الآن .. ولأحكمهم سيكون الكنز ..

الولد الأكبر : أنا أحمله له ..

الولد الأصغر : مهما بعد مكانه .. سأسافر له ..

الولد الأوسط : وأنا أبذل عمرى الباقى بحثا عنه ..

الأب : القاضى يسمع قبل صدور الحكم .. قل ياولدى :

الولد الأكبر : هذه هى الحكم التى قالها كليوبوليس من لندوس فى جزيرة رودوس : الحد هو الأفضل ــ على المرء أن يكرم أباه ــ كن صحيح الجسد والنفس . استمع كثيرا وتكلم قليلا ــ انصح مواطنيك خير نصيحة ــ تحكم فى اللذة . ــ لاتلجأ فى عملك للعنف ــ ليكن عدو الشعب عدوك ــ لاتتشاجر مع زوجك ولا تبالغ فى الغرور والتكبر عليها أمام الآخرين ، ففى الحالة الاولى يعدك النـــاس أحمق ، وفى الحالة الثانية يعتبرونك مجنونا . لاتضرب العبيد فى مجلس الشراب حتى لا يحسبك الناس سكران ــ تزوج من طبقة تناسب طبقتك ، لأنك ان تزوجت من طبقة أعلى منك كسبت سادة عليك لا أقارب لك ــ لا تضحك مع من يهزأ بغيرك لأن من وقع عليه الهزء ســـيكرهك ــ ان حالفك الحظ فلا تغتر بنفسك وان أصـــابك الشقاء فلا تكن وضيعا .

الأب : الم تجمع شيئا آخر ياولدى ؟

الولد الأكبر : بلى يا ابى ـ هذه هى الحكم التى يتناقلها الناس عن عن خيلون ··

الأب : ابن « داما جيتوس » ـ وفخر « لاكيمدايمون » فى اسبرطة ·

الولد الأكبر : اعرف نفسك ··

الولد الاوسط : سمعناها عن طاليس وصولون ··

الأب : استمر ياولدى ··

الولد الأكبر : لاتثرثر مع الشراب حتى لاتندم ـ أبطىء فى الذهاب الى أعياد أصدقائك ، وسارع اليهم اذا حل بهم مكروه ـ **لاتسرف فى الانفاق على حفلات العرس ـ اثن على الأموات** ـ كرم كبار السن ـ خذ الخسارة مأخذ الكسب السيىء ، لأن الخسارة تؤلم مرة واحدة ، أما الكسب السيىء ـ غير المشروع ـ فيؤلم أبدا ـ لاتضحك على انسان سيىء الحظ ـ لاتجعل لسانك يسبق عقلك ـ تحكم فى غضبك ـ لاتسع الى مستحيل ـ لاتسرع فى السير على الطريق لتسبق غيرك ـ لا تحرك يدك مع الكلام حتى لاتبدو كالمجنون ـ أطع القوانين ـ تسامح مع الظلم وتوق شر الوقاحة ··

الأب : ما أحكمه من قائل ·· وانت ياولدى ··

الولد الأصغر : انا جمعت ما يتناقله الناس على السنة الطغاة ··

الأب : الطغاة ؟ ·· ربما يحذروننا من أنفسهم ··

الولد الأصغر : لم يكن كل ما فعلوه شرا ولا ظلما ·· فالطاغية فى لساننا هو الحاكم الفرد ··

الولد الاوسط : وهل تنتظر الخير من المستبد بحكمه ؟ · هل تنتظر الحكمة ··

الأب : فلنسمع ياولدى قبل الحكم عليهم ..

الولد الأصغر : هذا هو ما اثر عن العادل بيتاكوس ..

الأب : ابن هيراس ، حاكم ميتيلينه فى جزيرة لسبوس ..

الولد الاصغر : اعرف قيمة اللحظة ـ لاتتكلم عما تنوى فعله ، لأنك ان لم توفق فيه جعلت نفسك اضحوكة ـ لا تفعل ما تأخذه على جارك ـ سلم ما عهد به اليك ـ لاتتكلم بالشر عن صديقك ولا بالخير عن عدوك حتى لا تتناقض مع نفسك ـ الأرض أمان والبحر لا أمان له ـ الكسب لا يشبع .

الأب : كلمات لا تصدر الا عن طاغية عادل ..

الولد الاوسط : طاغية عادل ؟ ما هذا ياأبى ؟ ..

الأب : هو ما تشهد به حياته وعمله ياولدى .. استمر يابنى ..

الولد الاصغر : وهذا ما توصلت اليه من حكم بياس ..

الأب : نعم نعم . ابن تويتاميديس ، حاكم بريينه .

الولد الاصغر : معظم الناس أشرار ـ أنظر فى المرآة ..

الولد الاوسط : لابد انه نظر فى المرآة قبل أن يقول هذا ..

الأب : صبرا يا أمفالكيس ..

الولد الاصغر : انظر فى المرآة : ان رأيت نفسك جميلا فعليك أن تفعل الجميل ، وان بدوت قبيحا فعليك أن تعوض نقص الطبيعة بجمال الطبع ونبله . اعمل بتأن ، أما ما بدأت من عمل فعليك أن تمضى فيه ـ لا تكن طيب النية ولا سيىء الطوية . قل عن الآلهـة انهم موجودون ـ اسـتمع كثيرا ـ تكلم فى الوقت

المناسب ــ اذا كنت فقيرا فلا توجه اللوم لغنى ، الا أن تكون قد نفعت الناس بعمل عظيم ــ لا تثن على عديم القيمة بسبب ثرائه ــ اكسب بالاقناع لا بالقوة ــ ماتقدم من خير فأرجع الفضل فيه للآلهة لا لنفسك ــ

الأب : حقا ٠٠ حلكم لا تصدر الا عن طاغية عادل ٠٠

الولد الاوسط : هو أيضا ياأبى ؟

الأب : لاتجادل أباك وهو فى آخر أنفاسه ٠٠ والطاغية الثالث ؟

الولد الاوسط : من لايمكن أن يوصف بالعدل ٠٠ اليس هو بيرياندر ؟

الولد الاصغر : هو من قلـــت ٠٠ طـــاغية كورنثة ٠ بيرياندر ابن كيبسيلوس ٠٠

الأب : أسرع ياولدى (يسعل سعالا شديدا)

الولد الاصغر : اشرب ياأبى ٠٠ اشرب ٠

الأب : شكرا ياولدى ٠٠ (يشرب) ماء الحكمة يروى أفضل ٠٠٠

الولد الاصغر : هكذا قال بيرياندر : كل شــىء يرجـــع للمران ــ السكينة شىء جميل ــ التهور خطر ــ الديموقراطية أفضل من الطغيان ٠٠

الولد الاوسط : أشك فى هذا القــول ٠ أو لعلــــه قاله وهو على فراش ٠٠٠

الأب : ربما ياولدى ٠٠٠ استمر ٠٠

الولد الاصغر : اللذات فانية ، والفضائل خالدة ــ ان واتاك الحظ فكن معتدلا ، وان أصابك سوء الحظ فكن عاقلا حكيما ــ لكن جديرا بأبويك ــ التمس الثناء فى حياتك ، والجزاء بعد موتك

ـ لاتغير معاملتك للأصدقاء ، سواء كانوا فى النعمـــاء أو الضراء ـ لا تثرثر بالأسرار ـ راع فى غضبك أن ترتد عنه بسرعة الى المودة والصداقة ـ تمسك بالقوانين القديمة ، ولكن تمسك كذلك بالأطعمة الطازجة ـ لاتكتف بمعاقبة الاثم بل امنع كذلك النية والقصد الدافعين اليه ـ اذا أصابك سوء الحظ فاخف نفسك حتى لا تشمت فيك أعداءك ٠٠

الأب : حكم رائعة ٠٠ وانت يا أمفالكيس ٠٠ ماذا تحمل ياولدى ؟

الولد الاوسط : أحمل كنز الحكماء الحق ٠٠

الأب : التهور خطر يابنى ٠٠ ألم تسمع الآن ؟ ٠٠

الولد الاوسط : طاليس وصولون شىء آخر ٠٠ والحكم المنســوبة لهما ٠٠

الأب : فلنبدأ بالشاعر والمصلح لنظام اثينا ٠٠

الولد الاوسط : أمفالكيس يقرأ حكم صولون : لا تبالغ فى شىء ٠٠

الولد الاكبر والاصغر : سمعت ؟

الأب (ضاحكا) : واصل ياصولون ٠٠

امفالكيس : لاتجلس للقضاء ، حتى لاتصبح عدوا للمحكوم عليه ـ اهرب من اللذة التى تلد الألم ـ حافظ على مروءتك أكثر مما تحافظ على قسمك ـ اختم كلماتك بالصمت ، واختم صـمتك باللحظة المناسبة ـ لاتكذب ، بل قل الحقيقة ابذل جهدك فى أمر جاد ـ لاتدع أن لديك من الحق الكثر مما لدى أبويك ـ لاتتسرع فى كسب الأصدقاء ، أما من لديك منهم فلا تتسرع فى التخلص منهم ـ تعلم كيف تطيع وسوف تتعلم كيف تحكم ـ حاسب نفسك قبل أن تحاسب غيرك ـ لاتنصح مواطنيك بما هو

ممتع بل بما هو خير ـ تجنب صحبة الأشرار ـ لا تتكلم عن شيء لم تره ـ اعلم واسكت ـ كن رفيقا بأهلك ـ استنتج ما لاتراه مما تراه ـ

الأب : حكم تليق بالمشرع العظيم ·· وماذا يقول طاليس ؟

امفالكيس : ان ضمنت غيرك حلت بك المصائب ـ تذكر أصدقاءك فى حضورهم وغيابهم ـ لاتزين مظهرك بل لكن جميلا فى عملك ـ لاتثر عن طريق الظلم ـ لاتتردد عن مجاملة والديك ـ ماتقدم من خير لأبويك توقعه من أبنائك فى شيخوختك ـ من الصعب أن يعرف الانسان نفسه ـ أمتع شيء أن تحصل على ماتتمنى ـ الكسل عذاب ـ عدم التحكم فى النفس مضرة ـ الجهل عبء ثقيل ـ لاتكن كسولا حتى ولو ملكت المال ـ اخف الشر الواقع فى بيتك ـ خير لك أن يحسدك الناس من أن يشفقوا عليك ـ ـ الزم حدك ـ لاتثق بكل ما تلقاه(١٥) ·

الأب : حكم صائبة ·· حتى لو جاءت متأخرة ··

الولد الأصغر : أنت بخير ياأبى ··

الولد الأكبر : الحكمة خير دواء ··

امفالكيس : وخصوصا حكمة طاليس وصولون ··

الولد الأكبر : اترك الحكم لأبينا ··

الأب : لا وقت ياأولادى ·· آخـــر نفس يوشك أن يخـــرج منى ·· استمعوا لى ·· استمعوا لى ··

الأولاد : تكلم يا ابى ··

الأب : قبل سنين حصلت على هذا الكنز ·· (يخرج شيئا من خزانة بجواره)

الأولاد : ماهذا ؟ كأس ذهبى(١٦) ٠

الأب : نعم ياأولادى ٠٠ كنت أتجول على شواطىء مسينا واتسلى بمشاهدة الصيادين ٠ اقتربت منهم وقلت لهم وأنا أضحك : الصيد القادم لى ٠ قالوا : أيا كان الصيد ستدفع ثمنه ؟ قلت : أيا كان ! القوا بالشبكة فى البحر مرة ومرتين ٠ لم تخرج سمكة ولا حجرا ٠ وفى المرة الثالثة رأينا شيئا يلمع فى الشبكة ٠٠

الأولاد : هذا الكأس الذهبى ! ٠٠

الأب : نعم نعم ٠٠ وانبهر الصيادون وقالوا : لم نتفق على هذا ٠ نحن نصيد السمك ولا نصطاد كئوسا ذهبية ٠٠ قلت : بل اتفقنا وكلام الرجال قسم ٠ قالوا وماذا تريد ؟ قلت : أريد صيدى ــ قالوا : ولكنه كأس ذهبية ٠ قلت : ذهبى أو برونزى ٠ **لقد اتفقنا ٠٠ اخرجوه وانظروا فيه ٠٠ قالوا نخرجه ولكن هل** تدفع ثمنه ؟ قلت : ادفع فيه ما أملك ٠ ان آلهة الحظ قدرته لى ، فهل تمنعونه عنى ؟ تفكروا قليلا ونظروا الى ٠ عرفوا أننى مصمم على الكأس مهما كان الثمن ٠ أخرجوه من الشبكة وقلبوا فيه ثم هتف أحدهم : تعال ! اقرأ ما عليه ! وتناولت الكأس بين يدى وقرأت ٠ كانت قد نقشت عليه هذه العبارة : لأحكم الحكماء ٠ هتفت : صدقت النبوءة ياأخوانى ! تعجبوا قائلين النبوءة ؟ قلت : نعم ! فقد شاءت الآلهة أن أقدمه هدية لأحكم حكماء اليونان ٠ قالوا : اذا فلن تبيعه ؟ قلت : أبيعه ؟ مثل هذا الكنز لايباع ٠ انه يعطى لأحكم الحكماء أو يوضع فى معبد الاله ليراه كل الأتقياء ٠ قالوا : خذه على بركتهم ٠ خذه واذهب ! رفض الصيادون أن يأخذوا منى شــيئا ٠

وانصرفت بالكنز الذى حافظت لكم عليه يا ابنائى ـ وهاقد جاءت اللحظة لأقدمه لكم ..

الأولاد : لنا يا أبى ؟

الأب : نعم .. لتسلموه لأحكم الحكماء ..

الأولاد : ومن يحكم بأنه أحكم الحكماء ؟

الأب : الحكماء أنفسهم ياأبنائى ..

الأولاد : ومن يتحمل مشقة السفر اليهم ؟ .. من يقدر أن يقطع أرض اليونان وبحارها وجبالها بحثا عنهم ؟ ..

أمفالكيس : لن نحتاج الى هذا .. لقد سمعت أنهم ..

الأب : نعم يا بنى .. ماذا سمعت ؟

أمفالكيس : سمعت أنهم مجتمعون فى مأدبة الحكماء السبعة ..

الأصغر والأكبر : أين ؟

أمفالكيس : فى دلفى أو عند كرويزوس فى ليديا ..

الأكبر : اذهب أنت ...

الأصغر : سافر أنت اليهم ..

الأب : نعم ياولدى .. سافر انت بهذا الكنز .. نفذ وصية أبيك .. أما أنت ياولدى فتأخذ المزرعة .. وأما انت فلك معصرة الزيت .. خذ ياولدى ..

المؤرخ : واقترب الابن الأوسط أمفالكيس من أبيه . مد يده اليه ليأخذ الكأس الذهبى من يده . ارتعشت يد الأب وذراعه وصدره وجسده ثم توقفت الحركة فى يده وذراعه وجسده

وسقط على الفراش · صرخ الابن : أبى ! أبى وبكى الولدان الآخران · وبعد أن جففا دموعهما وباركا أباهما قال امفالكيس :

امفالكيس : وادعا ياأخواى · كرما أبى وأعدا له الطقوس اللائقة · أما أنا فسأذهب ··

المؤرخ : قال الأخوان : ابق معنا ياأخى · ألم تتعب من السفر ؟ أتظن أنك ستجدهم بسهولة ؟

امفالكيس : انها وصية أبى · ولابد أن أذهب · لابد أن أذهب ···

- ٦ -

المؤرخ : وتجتمعون ياحكمائى السبعة فى مأدبة الحكمـــاء(١٧) ٠ وتلتقون فى دلف أو فى ليديا بعد لقاء الملك كرويزوس ٠ لانعلم شيئا بالتحديد عن المكان ولا الزمان ٠ لكن مآدبكم كثرت فى العصور المتأخرة ، والكتب التى ســـجلت أحاديثكم وأوردت أغانيكم على الشراب قد ضـــاع معظمها ولم يبق منهـا الا القليل ٠ ولابد أن كاتبا مجهولا من القرن الخامس قد ألف الكتاب الشعبى الذى دونت فيه هذه الأغانى والأحاديث ٠ ولا بد أن الحياة السياسية والاجتماعية فى هذا الزمن البعيد قد غصت بشىء من الكذب الذى يسمم اليوم حياتنا ، حتى أصبح من الصعب تمييز الحق من الباطل والأصـــالة من الزيف ٠ وها أنتم أولاء تقفون مع الحقيقة كما تقضى الحكمة الخالدة على من ينتسب اليها أو ينطق باسمها ٠

صولون : أين الكئوس ياأولاد ؟ أين الشراب ؟

بيتاكوس : انتظر ياصولون لم تأت اللحظة المناسبة ٠٠

صولون : بل جاءت ياطاغية لسبوس العفيف ٠ أنت وحدك الذى لايعرف قيمتها ٠٠

بياس : على الرغم من حكمتك المعروفة · حقا ! من الصعب أن يعرف الانسان نفسه ··

صولون : هذا قول طاليس · ولكن ليس من الصـــعب أن نعرفه · طاليس ! لماذا تجلس وحدك ؟

طاليس : هكذا عشت دائما ، وحيدا مع نفسى(١٨) ··

كليوبوليس : وبعيدا عن السياسة والعمل ··

طاليس : لقد ابتعدت عن السياسة · لكننى لم أبتعد عن العمل ·

خيلون : أنت وحدك انصرفت للنظر فى أمور الطبيعة وتأمل الأفلاك ·

كليوبوليس : وغرقنا نحن جميعا فى متاعب الحكم والمحكومين ··

طاليس : اتهمونى فى ملطية بالفشل فى حياتى وعابوا على فقرى · كنت كلما مررت فى الشارع أشار الناس الى قائلين : أنظروا الى فقره ! أنه دليل كاف على عقم الفلسفة ! وقررت أن أثبت لهم أن الفلاسفة يمكنهم اذا شاءوا أن يجمعوا الثروة بسهولة ولكن هذا ليس هو هدفهم ·

خيلون : وماذا يا طاليس ؟

طاليس : دلتنى ملاحظاتى الفلكية أن محصول زيت الزيتون سيكون وفيرا · كنا فى فصل الشتاء ، وكان معى بعض المال وأجرت معاصر الزيت كلها فى ملطية وخيوس بثمن قليل ، لأن أحدا لم يتقدم بثمن أعلى منه · ولما آن الأوان ، اشتد الطلب على المعاصر ، فأجرتها بالثمن الذى حددته وكسبت أموالا طائلة(١٩)

صولون : وأثبت أنك حكيم عملى ··

طاليس : بل انى حكيم بعيد عن الحكم · اذ سرعان مارجعت للنظر والتأمل(٢٠) ··

صولون : فلنشرب نخبه المال والزيتون قبل ان ترجــع لتاملاتك فى السماء !

صولون : وقبل أن تجلس وحيدا مع نفسك ··

صولون : لن يسمح له هذا الصبى بذلك ؟

كليوبوليس : أى صبى ياصولون ؟

صولون : الا تعرفونه ؟ ·· تعالى يابنى ·· انت تعال ! ··

الصبى : نعم ياعمى ··

صولون : غننا يابنى شيئا ·· غننا كما كنت تفعل فى اثينا ··

الصبى : الأغانى التى تحبها ؟

صولون : نعم ياولدى ·· ولا داعى لا ستئذان بيتاكوس ··

بيتاكوس : يستاذننى ؟

صولون : ستعرف بعد قليل ·· استمع الآن ··

الصبى : (يرتفع صوته ببعض اغانى سافو) :

الآن قــــد غـــاب بالقمـــر
وكــذلك الكـــواكب الســـبعة
انتــــــصف الليــــــــل
وزمــن الانتظـــــار فـــــات
وانـــا انـــــام وحــــدى

صولون : حقا ياولدى زمن الانتظار فات ·

بيتاكوس : سمعت هذا من قبل ··· سمعته من قبل ··

الصبى : كل النجوم حول القمر الجميل

تخفى وجهها المضى من جديد

عندما يغمر البدر الناصع الأرض بنوره ··

صولون : قل هذا لطاليس · أو انتظر · قله لهذا الفتى ··

الفتى : (يدخل على استحياء · يتطلع للجميع فى ذهول) ·

صولون : أليس كذلك ياولدى ؟ تعال ·· اقترب منا ··

بيتاكوس : أين سمعت هذه الأغنية ؟ متى ؟ ·· أه ·· تذكرت ··

صولون : تعال يابنى ·· صب له كأسا ياغلام ··

بيتاكوس : انها لسافو ·· الشاعرة التى هاجمتنى هى وصـــــديقها الكايوس ولكن شعرها ··

صولون : استمر ياولدى ·· أسمع هذا الفتى الجميل ·

الصبى :

عندمـــــا تمـــــوت

ينتهـــى كـل شـــىء

مـــا مـــن ذكـــرى

ولا مـــن شـــــوق

ســـــيسأل عنـــك

تذهـب غـــر مرئـــى

الى بيت هاديـــــس

تهبـط الــى الظـــلال

تتلاشــى مثلهـــــا

تصـــبح عدمـــــا

صولون : نعم ياولدى · نعم · تصبح عدما ·

الصبي : كما تحمر التفاحـــة

التفـــاحة الحلـــوة

على الشجرة العاليـــة

على أعلــى غصـــن

نسى القاطفون أن يجنوها

آه ! لـم ينسوهـــا

هم لم يستطيعوا فحسب أن يبلغوها(٢١)

صولون : اه ! ما اجملها ! أليست جميلة ياولدى ؟

الفتى : نعم ياسيدى ··

صولون : ليتك تعلمها لى ياولدى

الصبى : ولماذا ياعمى ؟

صولون : أريد أن أحفظها عن ظهر قلب ثم أموت(٢٢) ··

الفتى : مثلك لا يموت ياسيدى ·· وكذلك هؤلاء الحكماء ··

صولون : ولكننا سنهبط الى بيت هاديس ··

الفتى : ستبقى حكمتكم يامولاى ··

صولون : سمعتم ياأصدقاء ؟ ·· هذا الفتى يزعم انكم خالدون ··

خيلون : آعطوه كأسا ·· واذا شرب يغير رأيه ! ··

الفتى : لن أغير رأيى ·· لقد عشت لهذه اللحظة ·· اننى أسعد انسان

كليوبوليس : سألنى الملك كرويزوس : من هو أسعد انسان فوق الأرض ؟ قلت : أيها الملك ·· انها الوحوش · لأنها تموت فى سبيل الحرية · لو رآك يابنى لما سأل سؤاله ··

الفتى : كنت سأقول له : انا أسعد انسان ياكرويزوس ·· فقد رأيت الحكماء السبعة وسمعتهم ··

صولون : لو سمعت نصيحتى ما حكمت هذا الحكم الا فى آخر أيامك ··

الفتى : ليكن هذا آخر أيامى ·· فأنا أسعد انسان ياصولون · انظروا ··

الحكماء : ماهذا ؟ ماذا تخرج من جرابك ؟

الفتى : هدية أبى اليكم · أرسلنى بها قبل أن يلفظ آخر أنفاسه ··

الحكماء : كاس ذهبى ! لنا نحن ؟

الفتى : بل للأحكم فيكم ·· أنظروا ··

صولون : حقا لكتب عليه نقش ذهبى ··

خيلون : لأحكم الحكماء ··

بيتاكوس : كيف ستعرفه ياولدى ؟ لمن سيكون الحكم ··

الفتى : لكم انتم •

كليوبوليس : من احكمنا ؟ من ؟

صولون : هذا الكأس يجيبك ••

خيلون : ولماذا هذا الكأس ؟ اجبنى انت ••

صولون : ستعرف حين تفرغه فى جوفك •• هيا ياغلمان •• كأس فارغة •• الا تنجلون ؟ •• (تملأ كأسه ، يرفع صوته بالغناء بعد أن يفرغها فى جوفه)

اتق شر النـــاس
وانظر للواحد منهم
هل يخفى الحربة فى قلبه
واذا حدثك بوجه طلق وبيان جذل
فهو حديث لسانين
انشقا من قلب اسود كالليل

طاليس : (يتسلم الكاس من صولون) :

كثرة كلماتك لاتكشف عن عقل راجح
فتخير منها الطيب
والتمس الأحكم والأوفق
كى لا يغرقك السيل الجامح
من السنة الثرثارين فتفرق

خيلون : يتسلم الكأس من طاليس) :

يختبر الذهب الخالص

فوق محـك المعدن والحجر

اما افكار الناس

فتوضع فوق محك الزمان

ليفصل فيها الخير المحض عن الشر

بيتاكوس : (يتسلم الكاس من خيلون) :

كن حذرا واعد القوس مع السهم

حين تقابل شريرا

فلسان الحاقد لايتحرك فى الفم

الا ان اطلق من لهب القلب سعيرا

بياس : (يتسلم الكأس من بيتاكوس) :

كن طيبا مع الجميع وانبذ الخشونة

اذا اردت ان تقيم فى المدينة

أما الشذوذ فهو يشعل المصائب اللعينة ..

كليوبوليس : (يتسلم الكاس من بياس) :

الجهل عميم بين الناس

وسقط الكلمات ركام

لكن الحد مع المقياس

يمين المرء على الأيام
فكر في الخيـــــر
وعود نفســـــك
ان تختار الاصحاب(٢٢)

الحكماء (للفتى) : اشرب يافتى ·· اشرب ·· هل عرفت الآن أحكم الحكماء ؟ (يناولونه الكاس الذهبى)

الفتى يشرب : كلكم حكيم ·· كل أغانياكـــم تقطر حكمة ·· لكن من هو احكمكم ، من ؟

الحكماء : اشرب ·· اشرب

الفتى (يمد يده بالكاس) : لا ·· لا ·· أنا لاأستحق الشرب منه ·· لن أستحقه أبدا · خذه ياخيلون ··

خيلون : أنا ؟؟ أنى أعرف نفسى ··

الفتى : أنت ياطاليس ···

طاليس : من الصعب أن أعرف نفسى ·· ولكن من السهل ان أعرف أننى لا أستحقه ··

الفتى : وأنت ياصولون ··

صولون : أعرف واسكت · ولهذا لا اتكلم ولا احرك يدى ··

الفتى : وأنت يابياس ·· ألا تريد أن تأخذه ··

بياس : يأخذه من ينسب الخير لنفسه · أما انا فانسبه للآلهة ··

الفتى : وأنت ياحاكم ميتيلينه العادل ؟

بيتاكوس : رد الأمانة لأهلها ·· هل نسيت ما قلته ؟

الفتى : لم يبق الا برياندر ·· ارجوك ·· لابد أن يأخذه احدكم ··

برياندر : التهور خطر ··

الفتى : والحد هو الافضل ·· لكن ماذا افعل ؟

الحكماء : تسأل ··

الفتى : أهناك احد أحكم منكم ··

الحكماء : بل تسألنا نحن وتحكم ··

الفتى : أسألكم ·· أى سؤال أسألكم ؟

الحكماء : اسألنا مثلا عن افضل دولة ··

الفتى : حقا ·· ماهى افضل دولة ؟

صولون : هى التى يتهم فيها المجرم ويعاقب من جميع أولئك الذين لم يضرهم بشىء ، كما يتهم ويعاقب ممن وقع عليهم الضرر منه ·

بياس : هى التى يخاف فيها الجميع القانون كما يخافون طاغية ·

طاليس : هى التى تخلو من المسرفين فى الثراء والمسرفين فى الفقر ·

اناخارزيس : هى التى يحترم فيها الناس كل شىء على حد سواء ، ولكنهم يقيسون المزايا بمقياس الفضيلة ، والعيوب بمقياس الرذيلة ·

بيتاكوس : هى التى يستحيل فيها أن يصل الأشرار الى الحكم ، كما يستحيل الا يحكم الأخيار ··

خيلون : هى التى يغلب فيهـــا سمـــاع القوانين ويقل ســـماع الخطباء(٢٤) ..

الفتى : أجبتم عن أفضل دولة . هل أسألكم الآن عن أفضل بيت ؟

صولون : أفضل بيت هو الذى لايقترن فيه كسب المـــال بظلم ، ولا يجلب الحرص عليه سوء الظن ، ولا يعقب انفاقه ندم .

بياس : هو الذى يسلك رب البيت فى داخله ومن تلقاء نفسه مثلما يسلك خارجه بسبب القوانين ..

طاليس : هو الذى يستطيع فيه رب البيت أن يجد الفراغ أكثر مما يجده فى أى مكان آخر .

كليوبوليس : هو الذى يكون فيه عدد من يحبون رب البيت أكثر من عدد من يخافونه .

بيتاكوس : هو الذى لا يشتهى شيئا غير ضرورى ولا يحرم من شىء ضرورى .

خيلون : هو الذى يشبه الى أقصى حد مملكة يحكمها ملك(٢٥) ..

الفتى : صعب .. صعب أن أختار الأحكـــم .. هل تجيبنى أنت ياصولون ؟

صولون : عن أى شىء ياولدى ؟

الفتى : عن رأيك فى أفضل دولة .

صولون : ألم أتكلم الآن ؟

الفتى : نعم نعم . لكننى أريد المزيد .

صولون : هى التى تكثر فيها الجوائز التى تمنح للفضيلة .

الفتى : اجابة أخرى ··

صولون : هى التى يكرم فيها الخيرون كما يتقى الاشرار ··

الفتى : وثالثة ··

صولون : هى الدولة التى فيها يطيع المواطنون الحكام ، أما الحكام فيطيعون القوانين ··

الفتى : أحكم ما سمعت أذناى ·· زدنى ياصولون ··

صولون : آخر ما عندى : هى التى يثور فيها على الظلم أولئك الذين لم يصابوا منه بسوء كما يثور عليه من أضيروا بسببه سواء بسواء ··

الفتى : وأنت ياطاليس ؟ هل تظل وحدك كما قالوا عنك ؟

طاليس : ألم اجب على أسئلتك يابنى ؟

الفتى : من كان فى شهرتك نتوقع منه المزيد ··

طاليس : اسأل يابنى !

الفتى : ما أقدم الكائنات ؟

طاليس : هو الاله · لأنه لم يولد

الفتى : وما اجملها ؟

طاليس : العالم · لأنه من خلق الله ·

الفتى : وأعظمها ؟

طاليس : المكان · لأنه يستوعب كل شىء ·

الفتى : وأحكمها ؟

طاليس : الزمن · لأنه يكشف كل شيء ·

الفتى : واسرعها ؟

طاليس : العقل · لأنه يتخلل كل شيء ·

الفتى : وأقواها ؟

طاليس : الضرورة ، لأنها تحكم كل شيء(٢٧)

الفتى (يسرع اليه ويحاول أن يناوله الكاس) : رائع ! خذه أرجوك !

طليس : بل يأخذه صولون ··

صولون : لن أغير رأيى ·· اعطه لخيلون ··

خيلون : بيتاكوس أولى به ··

بيتاكوس : بل بلرياندر · هو احكم منى ··

برياندر : آخذه وكليوبوليس معنا ؟

كليوبوليس : مد يدك يابياس !

بياس : **ان خارزيس له يدان مثلى ··**

الفتى : الكاس لأحكمكم ·· اختاروا أحدا منكم ··

الحكماء : ليتك جئت ومعك باريس :

الفتى : هذا اللص ؟ سارق هيلينا ؟

الحكماء : عندما نشـــب النزاع بين الآلهـــات الثلاثة هيرا واثينا وأفروديته أرسله أبوللو ليحكم من هى اكثر جمالا ويعطيهـا التفاحة الذهبية

الفتى : الكاس اذا من حق أبوللو ··

الحكماء : ما أحكم هذا القول ! انك أحكم منا ياولدى ٠٠ هى من حق أبوللو ٠ فلتوضع فى معبده فى ثيبه أو دلفى ٠٠

طاليس : أو فى معبده الأقدس فى ديديما وقريبا من مسقط رأسى ملطية ٠٠

الحكماء : هو أجدر بالكأس الذهبية منا ٠ فهو حكيم ، أما نحن فأحباب الحكمة ٠٠

الفتى : وأنا أحببت الحكماء السبعة أحباب الحكمة ٠٠

الحكماء : اذهب ونفذ وصيتنا ٠٠

الفتى : ووصيتك ياأبى ٠٠ فتقبلها يارب الحكمة ٠

الحكماء : وداعا ٠٠ وتقبله يارب النور أبوللو ٠٠ يارب الحسن ورب الحكمة والعدل ٠٠

- ٧ -

المؤرخ : بعد المأدبة يجىء المسرح ··

الحكماء : المسرح ؟ !

المؤرخ : نعم · فقد مرت الأيام والسنون ، ومالت الى المغيب شمس العصر القديم · نسيكم الناس ولكن لم ينسوا حكمتكم بعد · وها هو ذا شاعر عالم وقنصـــل ومربى أمراء يذكر بكـــم الأجيال(٢٨) ، ويقدمكم فوق المسرح أو يجعلكم تقدمون أنفسكم واحدا بعد الآخر ··

الحكماء : نحن ؟ نظهر على المسرح ؟

المؤرخ : سموه مسرح العقل أو الخيال أو التاريخ ··

الحكماء : وماذا نقول غير ما قلناه ؟

المؤرخ : لاتنسوا ·· أوشكت الناس أن تنساكم · ولهذا ستقفون على الخشبة ويردد كل منكم حكمته الخالدة على الآذان ··

الحكماء : كى تنساها بعد سنين أو أجيال ··

المؤرخ : طبع الانسان هو النسيان ·· قد ينساكم أو يظهركم فى

شكل آخر · قد ينسج عنكم فى كل زمان أسطورة ·· لكن الحكمة باقية حتى اليوم · مهما احتاجت من يخرجها من ظلمات التاريخ ··

الحكماء : أو ظلمات النسيان ··

المؤرخ : هاهو ذا رجل لاينسى ، يظهر ليقدمكم للجمهور ، كى يتذكر شعب الرومان مآثركم . كى يتعلم من حكمتكم . حتى تصبح أسلوب حياة ··

الممثل (يتقدم على المسرح ويلقى بالتمهيد) :

الحكماء السبعة ، من أعطاهم العصر القديم هذا الاسم ولم تأخذه منهم العصور التالية ، يقفون اليوم على خشبة المسرح فى ثيابهم الاغريقية · لم يحمر وجهك ، ايها الرومانى فى ثوبك الأبيض ، لدى ظهور هؤلاء الرجال المشاهير ؟

نحن وحدنا نشعر بالخجل ، أما الأثينيون فلم يشعروا به اذ كان المسرح عندهم مجلس رأى أو شورى ·

لكل فعل عندنا مكانه الخاص به :

فمجلس الشعب يشغل ميدان مارس ، ومجلس الشيوخ يحتل المبنى الحكومى ، والقضاء مقره فى السوق والمحكمة · لكن فى أثينا وبلاد الاغريق مكان يتجمع فيه الناس للتشاور فى الرأى ، وهذا المكان أهداه الترف المتأخر لمدينتنا · فقد اقام لنا ناظر الشرطة خشبة المسرح ، وعلى وجه السرعة أعلى بناءها بغير أحجار ثقيلة ، مورينا وجاليوس فعلا هذا كما هو معروف · ان السادة العظام ، الذين لم يتهيبوا النفقات الباهظة ، قد اعتقدوا أنهم سيخلدون أسماءهم باقامة مبنى عال مؤسس على الأحجار ، يتيح الى الأبد فرصة التمثيل

المسرحى ، وهكذا ارتفع هذا البيت الهائل المقسم الى أدوار وطوابق ، بعدما تنافس فى الانفاق عليه بومبيوس وبالبوس وأغسطس · لكن لماذا اثرثر بهذا الكلام ؟

انى لم أظهر أمامكم لأحكى عمن اقام المسرح والسوق والأسوار ، بل لأقدم لكم رجالا اجلاء أثنت عليهم الآلهة ، ولكى أعلن عن مقصدهم ·

لقد تعودا على النطق بعباراتهم فكل حكيم منهم يلقى حكمته الأثيرة · انكم تعرفون هذه الحكم والعبارات لكن حين تضمحل ذكرى الأخبار القديمة ـ عندئذ يظهر هذا الشخص المرح لكى يشرح الحكم التى غابت عنى

الشخص المرح : فى دلفى ، كما يقال ،

كتب صولون الأثينى : اعرف نفسك(٣٠) · غير أن البعض يزعم أن قائل هذه الكلمة هو خيلون · ياخيلون الاسبرطى ! مازالت الآراء كذلك مختلفة حول هذه العبارة التى تنسب اليك :

« على كل انسان أن يتبصر بنهاية الحياة » فهل أنت الذى قلتها ، عندما أوصيت أن ينتظر المرء نهاية العمر الطويل (قبل أن يحكم على أحد بالسعادة او الشقاء(٣١) ؟ كذلك يزعم الكثيرون أن صولون قد قال هذه العبارة يوما للملك لكرويزوس · أما بيتاكوس ، من جزيرة لسبوس ، فيروى عنه أنه قال : اعرف اللحظة وأنه نبه الى معرفة الوقت الملائم · وأما بياس المنسوب الى مدينة برينيه فقد قال :

معظم الناس أشرار ، وعليك أن تفهم من قوله أن الحمقى فى رأيه هم الأشرار ويقول بريانذر من مدينة كورنثة :

المران هو كل شيء ، وهو يقصد أن التروى يحقق للمرء كل مايريد ويعلم كليوبوليس من لندوس أن الحد هو الأفضل • أما طاليس فيحذر من أن تضمن غيرك فتجلب الضرر على نفسك • وطبيعى أن يسخط مقترض المال على هذا التحذير • لقد قلت ما عندى ، وسانسحب الآن ، لكى يتقدم المشرع صولون ••

صولون : هاأنذا أخطو على هذه الخشبة على طريقة الاغريق ، أنا صولون الذى وهبه المجد أول جائزة منحت للحكماء السبعة • غير أن المجد شيء يختلف عن صرامة الحكم الصحيح • ولهذا لا أحب أن أكون أول الحكماء بل أريد أن أكون واحدا منهم ، لأن المساواة لاتطيق التقسيم الى مراتب ودرجات • وبحق نصح اله دلفى ذلك (الشـاب) الذى سأل هذا السـؤال الطائش : من هو أول الحكماء ؟ نصحه أن يكتب باقة أسماء الحكماء على هيئة دائرة ، حتى لايكون منهم أول ولا أخير •

ولهذا أتقدم من دائرتهم ، أنا صولون ، حتى أبلغ كل الناس ماقلته يوما للملك كرويزوس :

أدعو الانسان لأن ينظر فى خاتمة حياته • وليحذر كل منهم أن يتكلم عن انسان فيقول هذا تعس ، أو ذاك سـعيد ، لأن السعادة والتعاسة يحوطهما الغموض على الدوام • الأمر كذلك ، فاسمحوا لى أن أثبته باختصار • كان الملك كرويزوس ، لا بل طاغية ليديا ، أحد هؤلاء السعداء • وكان يملك الكنوز التى لاحد لها • وبنى للآلهة معابد رفع أسوارها الذهبية • ودعانى الملك اليه فاطلعت حتى يتسنى لليديين أن يجلس على عرشهم أفضل الملوك • سألنى الملك ان كنت أعرف انسانا سعيدا ، وسميت له تيلوس ، ذلك المواطن النبيل ، الذى سقط

قتيلاً وهو يدافع عن وطنه · وبدا له هذا المواطن حقيرا فأعاد السؤال ، وخطر على بالى أجلاوس الذى لم يغادر حدود حقله مرة واحدة فى حياته ·

ضحك الملك وقال : أين أكون اذا وأنا الموصوف بانى السعيد الوحيد على ظهر الأرض ؟ قلت له : على المرء أن ينتظر نهاية الحياة ثم يصدر الحكم بانه سعيد اذا دامت له السعادة » · كانت العبارة قاسية على الملك ، ولكننى انصرفت من عنده ·· وكان أن أعلن الحرب على الفرس ،، ودخل المعركة وهزم · مثل أمام الملك مقيدا بالاغلال ، وعرفت أنه سيموت فوق المحرقة ، اذ كان اللهب يملأ المكان ويرفع ألسنة الدخان المتوهج الى السماء ·

وارتفعت صيحة كرويزوس بعد فوات الأوان فصرخ بصوت رهيب : « صولون ! صولون ! صولون ! يامن صدقت نبوءتك بحق ! » وحرك النداء قلب قورش ، فأمر باطفاء النار ورفعه عن المحرقة · وانهمر المطر من السحب ·

فقهر الحريق . وتقدمت كتيبة من الجنود فأمسكت بكرويزوس وقادته الى الملك ·

سأله عن صولون وعن سبب هتافه باسمه ، فاخذ يروى عليه تجربته بالتفصيل ، وأشفق عليه الملك وأثنى على صولون الذى أدرك قوة القدر فأحسن الادراك ·

واصبح كرويزوس منذ ذلك الحين صديق قورش الذى أمر بتطويق عنقه بقلادة ذهبية وجعله يقضى بقية عمره بجانبه · أما أنا فشهادة الملكين مديح وثناء على ، اذ قال كلاهما : معك الحق ·

وعلى كل منكم أن ينتبه لما قلت لاحدهما ٠

لقد انتهيت مما جئت لأجله ٠

انظروا ! هاهو خيلون قادم فوداعا ، وصفقوا !

خيلون : يؤلمنى فخداى من الجلوس كما تؤلمنى من النظر عيناى ،
وقد انتظرت حتى انصرف صولون ٠

آه ما أقل ما يقوله « الأتيكى » فى خطبة طويلة !

فلقد ألقى عبارته الوحيدة فى أكثر من مائة بيت ٠٠ ها هو
مايزال يتلفت نحوى ، لكنه قد ذهب لحاله ٠

أنا خيلون الاسبرطى الذى يتقدم منكـــم الآن ألجا للايجاز
المعروف عنا وأوصيكم بحكمتى :

« اعرف نفسك » ٠

وهى الحكمة المنقوشة على عمود معبد دلفى انه لجهد شاق ــ
وان كان يجلب أجمل الجزاء ــ أن تعرف ما تقدر عليه وما
لا تقدر ، وأن تفحص فى الليل والنهار ماعملته ومالم تعمله
وتدقق فى أدق تفاصيله ٠

ان جميع الواجبات ، من شرف وحياء وصمود ، كلها هنا
(فى هذه الحكمة) ، ومعها كل المجد الذى أسكت عنه ٠

لقد تكلمت وقلت ما عندى ، فوداعا وتفكروا فيه !

لن أنتظر التصفيق ! ٠٠

كليوبوليس : أنا كليوبوليس ، أصلى من جزيرة صغيرة ، ومع ذلك
فقد عثرت على حكمة كبيرة (يشيد بذكرها الناس) :
« الحد هو الافضل »

تلك هى الحكمة التى تنسب الى ·

ترجمها أنت ، يامن تجلس بالقرب من الخشبة على أول درجة من الدرجات الأربع عشرة أليس الحد هو الأفضل ؟

قل رأيك ! هل أطرقت برأسك ؟ شكرا لك !

سأتابع قولى بالترتيب · فقديما قال شاعركم تيرينس فى هذا المكان : « لا تبالغ فى شىء » · وكذلك قال أحد شعرائنا : « لاتسرف على نفسك » والقولان من الرومانى والاغريقى مرتبطان بما نحن بصدده :

فى اثناء كلامك او صمتك فى يقظتك ونومك ·

يصدق هذا الحد ، فى الاحسان الى الناس وتقديم الشكر فى العمل وفى الدرس وفى الايذاء أو الضر ، — فى كل امور حياتك يجب عليك أن تلتزم الحد ·

ها أنذا أنهيت حديثى ، ولهذا أذهب ، فارعوا الحد ، ارعوا الحد ·

هاهو طاليس يتقدم منكم ··

طاليس : اسمى طاليس · مسقط راسى ملطية ·

علمت ، كما علم بندار ، ان الماء هو أصل جميع الاشياء ·
ووعاء البخور الذهبى ذو القوائم الثلاثة(٢٢) أحضره الى الصيادون الذين سحبوه بشباكهم من البحر ·

وساقتهم الى نبوءة ابوللو الذى جعل هذا الوعاء من نصيب احكم الحكماء · لم أشأ ان أحتفظ به ، فرددته اليهم لكى يحملوه الى غيرى ممن اعتقدت أنهم أولى به ·

هكذا دار الوعاء دورته وأرسل الى الحكماء السبعة جميعا ، ثم أعاده الصيادون الى بعد أن أرسله الحكماء فأخذته منهم ونذرته للاله أبوللو ٠

واذا كان أبوللو قد أمر باختيار حكيم (ليكون الوعاء من نصيبه) فمن الحق أن يســـرى هذا الأمر على اله لا على انسان ٠

هذا هو أنا ٠ وقد ظهرت على المســـرح مثلما ظهر الاثنان اللذان سبقانى لأنقل اليكم حكمتى من هذا المكان ٠

ربما تثير السخط عليها ، لكنها لن تســـوء الأذكياء الذين أنضجتهم الخبرة وحنكتهم التجربة ٠٠

لقد قلت باليونانية ماترجمته :

خذ قرضا من غيرك بضمان ، وبذلك تؤذى نفسك !

يمكننى أن أضرب أكثر من الف مثل لابين ندم المواطن على مافعل ٠

لكنى لن أذكر أحدا باسمه وساترك لكم الأمر لتتدبروه بأنفسكم وتعرفوا مدى الألم والأذى الذى جلبه الدين بالضمان على أصحابه ومع ذلك يبقى هذا العمل حبيبا الى نفوس الصبية الخليعين ٠٠

واذا فليصفق لى جزء منكم ، وليصفر الجزء الباقى سخطا واستهجانا ٠٠

بياس : أنا بياس من بريينه الذى قال : « أغلب الناس أشـــرار ، وودت لو لم أقل هذه العبارة أبدا (فقول) الحقيقة يولـــد الكراهية ٠

وقد وصفت بالشر البرابرة والحمقى الذين يزدرون الحق والقانون والحرمات المقدسة ٠

أما الشـــعب الذى يحوط هذا المكـــان ، فهو من الأخيـار الخالصين ٠

ان الأشرار لاوجود لهم الا فى بلاد الأعداء ، هذا ماقصدت قوله فصدقونى ٠

لكن ما من أحد يرضى لنفسه أن يكون قاضيا سيئا ، بحيث لاينضم الى زمرة الأخيار الطيبين ، سواء أكان طيبا بحق أم أراد أن يحسب من الطيبين ٠

بهذا تكون الكلمة السيئة عن الشرير قد كشفت عن معناها ـ وبهذا أنسحب من المسرح . فوداعا ، وصفقوا ، يامن أغلبكم أخيار ! ٠٠

بيتاكوس : أنا بيتاكوس ، أصلى من ميتيلينه فى لسبوس ، ولقد قلت : اعرف قيمة اللحظة ٠

فاللحظة تدعو وتنبه (الغافل) الى معرفة الزمن ولهذا يقول الرومان : تعال فى الوقت المناسب كذلك أوصى شاعركم الهزلى « يترنس » بادراك أهمية هذا الوقت المناسب عندما حضر العبد درومو لسـيدته أنتيفيلا فى أشد اللحظات حرجـا ودقة(×) ٠

تفكروا جميعا فى المصاعب التى يتعرض لها ذلك الذى لايقدر قيمة الفرصة المواتية !

ان الزمن ينبؤنى الا أثقل بالقول عليكم ٠ فصفقوا !

بيرناندر : وها أنذا أظهر أمامكم ، بيرياندر الذى ولد فى كورنثة ، والذى أعلن أن كل شىء يرجع للمران ٠

وأنا أؤيد قول القائل ان مايحسن المرء أداءه انما يقوم على التأمل ولا ينجح فى عمله الا من يتدبره قبل الاقدام عليه ٠

والشاعر الهزلى تيرنس يعلمنا أن ننظر فى فرص الحظ وسوء الحظ ٠

وكل من يريد أن يستأجر بيتا ، أو يعلن حربا ، أو يعقد صلحا وسلاما ، أو يرسم خطة شىء عظيم أو حقير ، فعليه أن يتفكر ويدبر سيرين الكسل عليك اذا اقبلت على عمل لم تتدبره قبل شروعك فيه ٠

ولاشىء أولى بالحرص والعناية من التفكير فى خطوة جديدة ان الغافلين يوجههم الحظ لا الذكاء ٠

ومع ذلك فها أنا ذا أتراجع جانبا ، صفقوا ٠ وتدبروا الأمر من أجل بلدكم ٠

المؤرخ : هكذا انتهت هذه اللعبة المسرحية ٠٠

الحكماء : كانت لعبة أطفال وتلاميذ مدارس ٠٠ الحمد لرب الحكمة اذ انتهت أدوارنا ٠٠

المؤرخ : ماذا تقولون ؟ لم ينته دوركم بعد ٠ فالحكاية ماتزال على نول الأيام ، وخيوط أخرى تغزلها فى ثوبكم الأجيال ٠٠

الحكماء : الا تنتظر حتى نغير ثيابنا ٠٠

المؤرخ : وأصفق لكم ثم أنسحب لاستراحة قصيرة ٠٠٠

- ٨ -

المؤرخ : وتمر الأيام وتأتى الأجيال بعد الأجيال فيتغير كل شىء . هذا قانون لايسلم منه حى أو جمـــاد . فكل مافى الوجود يتبدل ويتحول ويصير الى ضده . هذا ما سيقوله حكيم جاء بعدكم وأشاد بذكركم واســـمع هيراقليطس . حتى قصتكم ياحكمائى السبعة لم تسلم من التغير والتحول ... و

الحكماء : قصتنا ؟ .. هذا جائز .. لكن حكمتنا ؟ ..

صولون : اعرف نفسك ! الزم حدك ! لاتتطرف ! لا لا .. لايمكن أن تتغير ..

الحكماء : هل يمكن أن ينقلب الخير الى الشر ، أو يرضى الناس بتقديس الخسة والغدر ؟

المؤرخ : معذرة ياحكماء .. حكمتكم فوق الشك ولكن ..

الحكماء : ماذا تعنى ؟

المؤرخ : أعنى أن الحال تحول والقيم تغير سلمها الراسخ وتبدل ..

الحكماء : أوضح قولك ..

المؤرخ : بل هو قول التاريخ وحكمه .. صار العصر غير العصر

وتبدلت العقيدة غير العقيدة · ودخلت بلادكم فى دين جديد هو دين المسيح ··

الحكماء : المسيح ؟

المؤرخ : أجل · وهو عند المؤمنين به ابن الله الذى افتدى البشر ليكفر عن خطاياهم ··

الحكماء : ابن زيوس ؟ أم أبو للو ؟

المؤرخ : بل ابن الواحد والثالوث ·· جاء الى الأرض بميلاد معجز، جاء على صورة بشر يحيا فى الزمن ويأكل مثل البشر ويشرب ، وأخيرا يصلب ثم يقوم ويرفع ··

الحكماء : لم نره ، لم نسمع عنه ··

المؤرخ : بل تروى القصة أنكم تنبأتم به ···

الحكماء : نحن الحكماء تنبانا به ؟ !

المؤرخ : والنبوءة صارت هى حكمتكم الوحيدة · وها هو ذا واحد من آباء الكنيسة الذين علموا فى مصر ، وهو كليمنس السكندرى(٣٣) ، يسميكم فى حوالى سنة مائتين بعد ميلاد المسيح بالأنبياء · لقد راح هذا الأب المسيحى يفسر اقوالكم الأثيرة · انكم تعرفون هذه الحكم والعبارات تفسيرا رمزيا يضع عليها ثوبا الهيا ·· فعبارتكم « أعرف نفسك » صارت : اعرف سبب ولادتك ، وصورة من أنت ، ماذا تملك ، ماذا تصنع ، واعرف صلتك بالله وقربك منه » ـ

الحكماء : غريب ·· شىء غريب ··

المؤرخ : الأغرب من هذا أن أسماءكم المشهورة بدأت تلتف فى

ضباب الأفق البعيد ومعها عالمكم القديم كله · لم يبق من هذه الأسماء الا أصداء غامضة · واختلطت بأسماء أخرى ظهر أصحابها قبلكم أو بعدكم · فالكاتب المتدين لاتهمه الآن الا حكمة واحدة ولايعنيه الا حـــدث تاريخى واحد(٣٤) · انه لايعرف حكايتكم ولايذكر اقوالكم ولايرى بأسا من أن يدخل فى زمرتكم شاعرا كهوميروس أو فيلسوفا كافلاطون وتلميذه أرسطو أو مؤرخا كتوكيديدس الذى سجل وقائـــع الحرب الأهلية التى وقعت بعد عهدكم بين أثينا واسبرطة ، أو مؤرخا متأخرا مثل بلوتارك ــ بل أنه لايجد حرجا فى أن يجعل شاعر الملهاة ميناندر واحدا منكم ··

الحكماء : هل يمكن أن ينسانا العالم كل النسيان ؟ أولا يذكر أحدا منا ؟

المؤرخ : بل ما زال الكاتب يرفع ذكركم وان كان لايعرف شيئا عنكم · مع ذلك لايصح أن نجحد فضله فى احياء ذكراكم ، والايحاء الى الفنانين برسم صوركم ونقوشكم على الأيقونات وجدران الكنائس الأرثوذكسية فى بلدكم · استمعوا الآن · لقد أصبحتم أنبياء أو متنبئين ومنجمين ··

الحكماء : ما أشقانا ! ·· متنبئين ومنجمين ؟ ! ··

المؤرخ : وجئتم الى معبد أبوللو فى أثينا لتسألوه ···

الحكماء : نبئنا أيها النبى أبوللو ·· قل لنا ياساطع الضوء : ماذا سيكون حال بيتك هذا ولمن سيئول من بعدك ؟

المؤرخ : ويرد عليكم اله النور والفن على لسان العراف فيقول :

ابوللو : سيكون بيتا للفضيلة والطاعة والنظام · انى أبشر بالثالوث بالرب الحاكم فى الأعالى ، الذى تحولت كلمته الخالدة الى

ثمرة جسدية فى رحم عذراء طاهرة ، لأن كلمة الرب ستنطلق كصاعقة من نار فى العالم كله وتقدمه للرب هدية · أما هذه العذراء فاسمها مريم ··

الحكماء : انك تكذب يا أبوللو ··

أبوللو : بل أخبر بالحق وبالصــــدق ، وأقسم بمن يمسك بزمامى ويهز أعنة صدرى ··

الحكماء : ولم نصدقه بطبيعة الحال ··

المؤرخ : بل صدقتم ومضيتم فى نبوءتكم بالنور الطالع والرب الآتى من علياء سمائه ، يفدى البشرية فى صــــورة بشر ثم يقوم ويرتفع الى عرش أبيه ··

الحكماء : نحن نفعل هذا ؟ !

المؤرخ : وتبشرون بالوعد والخلاص على لســـان بياس وصولون وخيلون ·· ويكون بياس أول المتكلمين فيقول :

بيياس : مستحيل أن أقول ما أقوله لغير المريدين والمؤمنين الا أن تعوا بعقولكم ما أنطق به ·· هذا الرب هو النور الروحانى الطالع من نور الروح القدس · بالنور وبالأنفاس تلقى الوحدة من روحه · كل شىء منه وعن طريقه · خصبا نزل الى الطبيعة الخصبة فخلق الماء الخصب بالماء الخصب ··

صولون : وهو الذى جاء قادما من أعالى السموات ، أقوى من نار اللهب الأبدى الخالد · ترتعش أمامه السماء وترتجف الأرض والبحر والمحيط الذى تسبح فيه الأرواح السفلية · وهو نفسه أبوه المثلث البركات ·

خيلون : يوماً سيجىء الى هذه الأرض المتصدعة وبلا خطيئة يتجسد .. وبنعمة الألوهية ومشيئتها سيرفع الفساد ويخلص من الآلام التى لاتداوى ولا تشفى .

ولسوف يصيبه حسد الشعب ويعلق على الصليب كأنه استحق الموت عقابا له ، ثم يتحمل كل شىء فى هدوء .

توكيديديس : ان طبيعة الخلق الالهى لاتعرف الكلل . والرب يحول كلمته الى وجود .

ميناندر : اخش الرب وآمن به ، لكن لاتسأل من هو ولا كيف هو . وسواء أدركت وجوده أم لم تدركه ، فاخشع لهذا الوجود واعرفه . لأن من يحاول معرفة الله انسان خلا قلبه من التقوى(٥٥) .

افلاطون : الشيخ شاب والشاب شيخ ، الأب هو الابن والابن هو الأب ، الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، الذى بلا جسد متجسد ، والأرض ولدت خالق السماء ...

الحكماء : نحن نقول هذا كله ؟

المؤرخ : والأدهى من هذا أن تقولوه وأكثر منه على لسان أشخاص ولدوا بعد أن شبعتم موتا ..

الحكماء : أى أشخاص لم نعرفهم أبدا ..

المؤرخ : بل عرفتموهم وقابلتموهم أيضا ..

الحكماء : ماذا تقول ؟ كيف نعرفهم أو نقابلهم ..

المؤرخ : هذا ما يقوله الكتاب الورعون الذين دونوا المخطوطات التى وصلتنا عنكم فى عصر متأخر(٥٦) لقد جعلوكم تقابلون

فيلســوفا ســموه ديوجينيس وتدخلون بيته القــائم فى اثينا الذهبية ·

الحكماء : حقا ؟ نحن الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : ولكن بأسماء اخرى بعد أن نسى أولئك الكتاب أسماءكم · اتدرون من هم الحكماء السبعة الذين دخلوا بيت ديوجينيس فاجلسهم ورحب بهم وأخذ يسمع حديثهم عن الهندسة والفلك والتنجيم وطبيعة الأرض وغيرها من العلوم والفنون ؟ ··

الحكماء : الم تقل انهم الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : نعم ولكن باسماء اخرى لم يراع فيها اختيــار ولاترتيب : بلوتارك واريس ··

الحكماء : آريس ؟ حتى اله الحرب والشقاق أصبح واحداً منا ؟

المؤرخ : نعم نعم · واكذلك هيريس مثلث العظمة · ولكنهم نسوا اسمه الحقيقى فسموه « دون » مثلث العظمة ·

الحكماء : مع أنا لم نعرف هيرميس هذا ولا ··· ماذا قلت ؟

المؤرخ : بالطبع ولا كليو ميديس ·· ··

كليوبوليس : حتى اسمى أخطأوا فيه ؟!! ·

المؤرخ : وادخلوه فيكم أفلاطون وأرسطو وهوميروس ··

الحكماء : حتى شاعرنا الأكبر ؟ ·

المؤرخ : أجل أجل ·· وبعد أن فرغوا من حديثهم وقف ديوجينيس الشيخ ــ الذى لانعرف ان كان هو ديوجينيس الأبولونى أم الكلبى ·· وخطب فيهم قائلا :

« أيها الرجال الأجلاء من فلاسفة الاغريق ومعلميهم الأوائل · انى أسألكم : ماذا تهيىء عناية السماء لأجيال الاغريق فى أواخر الزمان ؟ لأنى أعلم أن أبناء الاغريق قد استبد بهم الحمق فراحوا يهيمون أذلاء بين الأصنام ويخوضون فى كل رجس ، بعد أن تخلوا عن خالق كل شىء · اذكروا لى علامة تدل على أنكم أعظم العظماء وأكبر المنجمين والحكماء · انى أتوسل اليكم أن تخبرونى بها · ولـــم يكد ديوجينيس ينهى خطبته حتى فتح بلوتارك فمه وقال :

بلوتارك : ذات يوم سيجىء من لابداية له وابن من لابداية له ، سيجىء الكلمة الى هذا الأرض المزقة ويسكن جسد عذراء بريئة اسمها مريم · وسوف يتعرض لحسد الشعب الجاحد ويعلق على الصـــليب · وأخيرا يقوم من بين الموتى وينقذ العالم بأسره · أما اسمه فهو يسوع ، أى الطبيب ··

المؤرخ : ثم تكلم آريس ··

الحكماء : اله الحرب ؟ وهل لديه مايقوله ··

المؤرخ : نعم نعـــم · أليس غريبا أن يتحدث عن الحب والخلاص والسلام فيقول :

آريس : سيأتى الابن من الابن ويطلب وهو ابن الابن ، أن يسكن رحم أم ويولد الها كاملا فى صورة انسان ، وســوف ينقذ جميع الأجيال من آدم الى شخصـــه ذاته ويقدمهم هديــة لأبيه ··

المؤرخ : وتكلم دون مثلث العظمة فقال :

مثلث العظمة : الرب عقل وكلمـــة وروح · والكلمة الذى تجسد

بارادة الأب سينقذ كل انسان من الضلال المريع ويقضى على الشيطان ويمنح شعبه العماد • طوبى لمن يستجيب له ••

المؤرخ : ثم قال كليوميديس الذى يحمل بعض حروف اسمك يا كليوبوليس ••

كليوميديس : الذى بسط السماء وأقام الأرض على المياه سيولد بعد ذلك من مريم الطاهرة • وسيأخذ منها الجسد ويصبح انسانا كاملا وخالق الكون • وسيسحق الموت ويقضى على الشيطان ويهب للعالم الحياة ••

المؤرخ : ثم يأتى دور أفلاطون الشهير فيرتدى ثياب مسيحى مؤمن ويقول :

أفلاطون : كان الله على الدوام وهو كائن وسوف يكون بغير بداية ولانهاية • أما ابنه المسيح فسوف يولد من مريم العذراء وأنا مؤمن به • وأنت أيتها الشمس سترينني من جديد تحت ظل ملك تقى • أما معبد أبوللو فسوف يهدمه وسوف يطلق على هذا الأخير اسم أمه مريم •

المؤرخ : ثم يجىء دور المعلم الأول فيواصل كلام أستاذه ويقول :

أرسطو : فى تلك الأيام سيسطع نور الثالوث الأقدس فوق جميع الخلق ، والأصنام التى صنعتها يد الانسان ، تلك الأصنام الخرساء الجامدة التى يؤلهها شعب الاغريق ، سيقضى عليها قضاء مبرما • أما اسمه فسوف يعظمه ملوك الأرض كلها وسادتها الأقوياء • وسوف يعين اثنى عشر قاضيا وسبعين معلما ليحكموا الأرض جميعا ويهدوها • أما هو فسيرفع بعد عذابه وقيامته ويجلس الى يمين الأب ويعود مرة أخرى ليقاضى الأحياء والأموات • وسيعطى كل انسان حسب عمله ••

المؤرخ : وأخيرا يأتى دور الشاعر هوميروس فيقول :

هوميروس : يوما سيجىء الينا سيد الأرض والسماء ويظهر على هيئة جسد بلا خطيئة • وسيأخذ صورته البشرية من عذراء عبرانية • سيسمونه الغفران والفرح • وسيصلبه شعب العبرانيين الكافر • طوبى لمن يستمعون اليه وويل لمن لايستمعون •

المؤرخ : لما سمع ديوجينيس الجليل هذا الكلام تعجب من نبوءات الحكماء السبعة • ثم دونها فى كتابه عن الطبيعة ووضعها فى فى معبد أبوللو • ومنذ أن سادت بيننا ديانة الخلاص والرحمة حكمنا قسطنطين العظيم الذى كان أول الملوك المسيحيين ، وعندما زار الملك أثينا أبدى رغبته فى هدم معبد أبوللو وبناء معبد آخر لأم الاله • غير أنه عثر على الأوراق التى دونت عليها نبوءات الحكماء السبعة • وقرأها الملك التقى وتعجب تعجبا شديدا ، لكنه أخذها معه على طريق عودته الى ملكة المدن لكى تثبت ايماننا وتمحو الشر وتقضى عليه ••

- ٩ -

المؤرخ : وتتركون بيزنطة ياحكمائى السبعة وترجعون مرة أخرى الى الشـــرق وتلتقون فى بــلاط ملك شــرقى ٠ ان قصتكم لاتزال منتشرة فى الغرب والشرق على السواء ، وهى تجرى الآن على السنة الناس فى بلاد العرب والفرس وتوغل فى البعد حتى تصل الى بلاد الهند ٠ وتبلغ الحكـاية فى القرن العاشر آذان الغرب المبهور بسحر الشرق وأساطيره وحكاياته التى تفوح منها عطور المسك والعنبر والقصور والحريم ٠٠ ويطلع عليها رجل المانى أطلق على نفسه اسم يوحنا السكسونى فينقلها باللاتينية سنة الف وأربعمائة وسبعة عن نص فارسى أو عربى نقل بدوره عن أصل هندى ان حكايتكم تتلفح الآن فى ثوب شرقى وتروى بأسلوب شرقى يهيىء الأنس والسمر فى مجالس الشرب والرقص والخدر ، وليال من الف ليلة يهمس فيها ضوء القمر ٠ لكن لاتنسوا أنكم قد أصبحتـم فى آخر المطاف شرقيين تواجهون الغرب المذهول بسحركم واطلاعكم على الغيب المسطور من خيوط الكواكب والنجوم ، بعد أن كنتم اغريقا تتحدون ملوك الشرق ، بحكمتكم وكبريائكم ان هذه الحكاية ٠٠٠٠

الحكماء : حكاية أخرى ؟ ٠٠ الا تنوى أن تعيدنا الى قبورنا ؟

المؤرخ : حكمتكم لاتسكن قبراً ، بل تحيى قلباً او فكرا ·· أنها آخر حكاية طافت بكم فى جهات الأرض الأربع ··

الحكماء : آخر حكاية ؟

المؤرخ : نعم · فقد جاء عصر النهضة فرجع للأصول القديمة وارتوى من المنابع الأصلية · وبذلك لم يترك فرصة لخيال راوية يضيف من عنده ما يشاء ، ولا لمؤرخ ضعفت ذاكرته وأصابها الوهن والانطفاء ···

صولون : آه ! تعبت من الرحيل والتجوال ···

طاليس : وأريد أن أستريح فى التراب أو حتى فى الماء ···

بيتاكوس : وأنا اريد أن أرجع لقبرى ·· فلكم تجرعت المرارة فى الحياة وبعد الحياة ··

خيلون : أما أنا فشبعت من النسيان ···

برياندر : وأنا ممن صب على اسمى اللعنة وعلى الطغيان ···

الحكماء : من تقصد ؟

المؤرخ : ومن غير سندباد الحكيم ؟ ان الملك والوزراء السبعة ، وابن الملك الذى سيربيه سندباد ويعلمه الحكمة ، والجارية التى ستحاول اغواء الامير ، والحكايات التى ستروبها الجارية لتتعجل قتل الأمير الذى رفض ان يستجيب لغوايتها ، ثم الحكايات التى يرويها الوزراء السبعة لكى ينقضوا ما ابرمت الجارية ويؤجلوا قرار الملك بقتل ابنه ، وأخيرا حكايات الأمير نفسه بعد أن انفكت عقدة لسانه فتساقطت الدرر من عقد حكمته وتناثرت اللآلىء من حبات سنبلته ·

الحكماء : حكاية غريبة كأحلام الشرقيين ·

المؤرخ : بل حكايات وحكايات ، ممتدة كليالى اسمارهم ، بطيئة وطويلة مثل صبرهم ونومهم ··· ولكننى سأكتفى بحكاية السندباد الحكيم ·

الحكماء : وبقية الحكماء ؟ ألم نتكلم عن سبعة ؟

المؤرخ : نعم نعم · انهم الوزراء السبعة · وكل واحد منهم يدخل على الملك ليروى عليه حكاية تبصره بعاقبة التعجيل بالقرار الرهيب ·· ثم تأتى الجارية فى صباح اليوم التالى لتستحثه على اتخاذ القرار وتروى له حكاية أو حكايتين ·· ويدخل عليه وزير آخر ···

صولون : قل لنا اذا ماذا فعل طاليس بعد ان ركب سفينته وطوف ببلاد الهند والعجم

طاليس : أو الرحالة صولون الذى أخفى عنا أخبار رحلاته

المؤرخ : اسمعوا بداية الحكاية وكل حكاية

الحكماء : وعدتنا بحكاية واحدة ··

المؤرخ : وكل حكاية تبدأ هذه البداية ·· كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك اسمه « كورديس » ، هو الملك المتوج على عرش هندوستان ·· بالغ رواة الحديث وأصحاب التاريخ فى بيان فضله وكماله ، والثناء على عقله وعلمه ، والاشادة بعدله ورحمته ورعايته للرعية ، بحيث تسامح الصقر مع الحمامة ، وتصالح الذئب مع الشاة ، ورعت السوائم مع الأسود فى أطراف الممالك وأكناف المسالك ·· لكنه على الرغم من سعده وعظمة مملكته ، كان يقضى الساعات فى الفكرة والحيرة ·· كان يقول لنفسه فى غرفة خلوته : طائر الملك بلا فرخ ، ودوحته بلا غصن ، وأصله بلا فرع ··

ودخلت عليه جارية جمعت بين جمال الكياسة وكمال الفراسة ، ولما رأته على هذه الحال قالت ·

الجارية : ما هذا التغير ؟ وما موجب هذا التفكر ؟

الملك : ألم تخبرك عين فراستك عن ثلوج الشيب فى شعرى ؟ ألم ترى يد الأجل توشك أن تطوى بساط عمرى ، وتجرعنى كأس قدرى ، وتدفع بى الى ليل قبرى ؟

الجارية : وماذا فى هذا يا مولاى ؟

الملك : ماذا فيه ؟

الجارية : لابد من سماع نداء الأجل لأنه لا ربيع بغير خريف ، ولا اجتماع بغير وداع ···

الملك : وأودع وليس لى ولد يجلس على سرير ملكى ، ويحفظه من حسد الأصدقاء وغدر الأعداء ، ويشرق فى سمائه حين تأفل شمسى ··

الجارية : الأمل فى فضل الخالق أن يكون وارث أعمارنا وأعمالنا · ورغبة الملك فى خلق لائق وأمنية فى عقب رشيد تتيسر بصفاء الطوية ، وتتهيأ بخلوص النية وعرض الحاجة فى حضرة أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ألم يأمرنا عز وجل : أدعونى أستجيب لكم(٣٨) ؟

المؤرخ : وتصدق الملك على الفقراء والزهاد والعباد ، وأدى نذور الخيرات وأقام الصلوات ونوافل الطاعات ، وخلا بالجارية المحبوبة فولد البدر والشمس كواكبا فى جمال يوسف ، وكمال المسيح ، على جبينه أنوار الكرم والعظمة ، ومخايل النجابة والشهامة ولما خرجت هذه الثمرة من زهرة الوجود ، صرف

الملك نعما فاخرة وأموالا وافرة فى الخيرات وفاء بالنذور ، واتماما للسرور ، وامر الحكماء والمنجمين ٠٠

الحكماء : آه ! أصبح الحكماء مرة أخرى منجمين ! ٠٠٠

المؤرخ (مستمرا) : أمرهم أن يقرؤوا طالع الأمير ، فنظروا وحسبوا وقابلوا وقالوا للملك العظيم : اهنأ وعش مخلدا ! ان ولدك سيفوق ملوك الارض فى العلم والحكمة ، والسخاء والمكرمة ٠ ولم يطمئن الملك فامرهم بمعاودة النظر والحساب والمقابلة ، فنظروا وقالوا : بعد انقضاء سنين من عمره سيعرض له خطر على حياته ، ولكن الخالق سيسهل تلك المعضلة ، فلا يرى بعدها أى مكروه ، ولايحط غبار على صفحات كماله ٠٠ ولما بلغت سنه الثانية عشرة ، أرسله الملك الى المؤدب ليتعلم آداب الملوك ، ومرت عشر سنين فلم يتعلم الصبى أى شىء من مدارك العلوم ٠

الملك : كل هذه السنين ولم يظهر عليه أثر ٠ آه ! لقد اغتم فؤادى وتولاه اليأس والضجر ٠ هيا أحضروا الفلاسفة والحكماء ! ٠٠ ولما مثلوا فى حضرته صاح فيهم : من منكم يعلمه ، (دقائق العلم ويلقنه أسرار الحكمة ؟ من منكم يجعله خليقا بتيجان الملوك ؟ أيها الحكماء السبعة ! اختاروا واحدا منكم واسلموه زمام هذه المهمة ٠٠

المؤرخ : وتدبر الحكماء السبعة ذلك الأمر ثلاثة أيام بلياليها ٠ تناقشوا طويلا ونظروا فى طالع الأمير وأدلى كل واحد برأى ٠ واحجم الجميع عن تعليم الصبى الذى لم يتعلم شيئا فى عشر سنين ٠

حكيم : ان العود نبت أعوج ، اذا زاد التكلف فى تقويمه ينكسر ويتلف ٠

حكيم آخر : والحديد الذى صدىء فى الأرض الملحة ، لن تنفع النار ولا العقار فى اصلاحه وخلاصه ..

حكيم ثالث : اذا كان لم يتقبل التعليم فى بدء نشوئه ونموه ، فالآن مستحيل أن يقبل التعليم .

حكيم رابع : كان النحس متصلا بطالع هذا الصبى .

المؤرخ : ولكن سندباد الذى حضر هذا الاجتماع فتح فمه وقال :

سندباد : الآن يزول هذا النحس . أنا أقبله وأعلمه .

المؤرخ : نظر الحكماء الى بعضهم وخافوا على أنفسهم . لاذوا بالصمت مليا قبل أن يقول واحد منهم .

حكيم : ان كلمات السندباد تشبه البرق والرعد والسحاب الذى جفت منه قطرات المطر ..

المؤرخ : وابتسم سندباد حين لمح ضباب الحقد يغشى نظراتهم وقال :

سندباد : الا تعلمون أن الحكمة فى الانسان مثل المسك والعنبر ، كلما ابتل عوده بالماء ذاع شذاه وانتشر عبيره ؟ ألم يستطع الانسان بالعقل والحيلة أن يستنزل الطائر من الهواء ، ويستخرج السمكة من قاع البحر ، ويروض الأسد والنمر والوحش الجامح ؟

احد الحكماء : ان هى الا كلمات لايعرف حقيقتها الا من يرى ثمرتها . وشانها ياسندباد شأن حبات القمح قبل أن يطحن ويخبز ويؤكل ، والسفن الطافية على ظهر البحر قبل بلوغ الميناء ، والشجعان قبل رجوعهم الى ديارهم ظافرين ، والمرضى حتى يشفوا من الأسقام ، والحوامل حتى يضعن حملهن .

حكيم أخر : ولهذا لانستطيع أن نمتدح كلامك حتى نتبين نتيجته ٠

سندباد : ولكننى أعد الملك أن أتولى تربية ابنه حتي تفوق حكمته حكمتكم أجمعين ، واذا لم أنجز وعدى ءساقدم راسى لتقضى فيها بحكمة عدله قضاءها ٠

الحكماء : مهلا ياسندباد مهلا ! لقد استغرقت فى تحصيل المعارف والعلوم حتى كاد بحر حكمتك أن يغرقنا ٠ كل طائر أعطيته حبة تربيتك جعلته ندا للعنقاء والطاووس ٠ وكل من زينته بحلى فضلك وعقلك يستطيع مساواة الشمس ومناظرة القمر

سندباد : انى لا أغتر بمقالكم ولا يخفى علىخوفكم وترددكم ٠

الحكماء : ان كان ثمة خوف فهو عليك ٠

سندباد : حقا ؟ سأذهب للملك وأعلن استعدادى لتربية الأمير ٠

الحكماء : وسنذهب معك ونعلن انك ستجعله أحكم الحكماء ٠

سندباد : حقا ؟ وسأنجز وعدى فى أقصر وقت ممكن (يذهب)

حكيم (همسا) : وبعدها تسقط رأسك فى حجرك

الحكماء (همسا) : أو تسقط رؤوسنا فى سلة الجلاد

- ١٠ -

المؤرخ : واتفق الحكماء على اختيار السندباد الحكيم لتعليم الأمير وعهد أبوه اليه بتربية ابنه وتعليمه مكارم الأخلاق ، وقوانين السياسة ، وآداب السلطنة ، ودقائق الشـــريعة ، وحقائق الطريقة ٠ وشـــغل سندباد بتعليـــم الأمير جهد اســـتطاعته وقدم له كل ما فى وسعه من الجهد والطاقة ، وبذل كل مافى صدره من مدخر المعارف والطرائف ٠ لكن الصبى لم يوطن قلبه على العلم ، ولم يتحمل مشقة الحفظ والتحصيل ٠ وظل سندباد يقول لنفسه لعل وعسى ، والولد لا يتقدم ولا يتأخر ٠ وبلغ الملك عما كان من ابنـــه فتفكر وتحير ، وظهرت على صفحات وجهه آثار التغير ٠ ثم ملكه الغضب فصاح فيمن حوله :

الملك : هل ولد ابنى بلا قلب ولا رأس ؟أكان سندباد يضرب بالمطرقة على حديد بارد ، أم كان ينقش على سطح الماء ؟ احضروا سندباد ! احضروه فى الحال !

المؤرخ : وحضر السندباد فبادره الملك قائلا :

الملك : لماذا لم تألف قريحة الأمير الأدب والحكمة مع مشقة التعليم ؟ هل قصرت فى تربيته ورعايته ، أم كنت كمطرب الأصـــم ، وحامل المرآة الى الأعمى ؟ تكلم ! لا تخف عنى شيئا ٠٠

سندباد : لايخفى على جلال مولاى ولا على هؤلاء الأكابر ـ وهم نجوم سماء الفضل ، ورياحين بستان العدل ـ أن هذا الذى يشرف بالكلام اليكم قد تبحر فى الحكمة والعلم ، وقضى عمره فى التعليم والتعلم ٠ لقد قدمـــت كل ما يمكن ويتصور من الاجتهاد ، ولكن ما كل من طلب وجد وجد ، ولا كل من ذهب ورد ٠

الملك : ان الجواد الجامح أو الفيل الوحشى يعطونه لمن يروضـــه ويهذبه فيودع جموحه ويغير طباعه فى مدة يسيرة ٠ فما بالك لم تروض الأمير ؟ !

سندباد : لقد عجزت عن تغيير قلبه وطبعه ، لأن ذلك أمر خفى عنى ، لا يتيسر بغير التأييد السماوى ٠

الملك : أتحمل السماء ذنب تقصيرك ؟

سندباد : بل يحمله طالع الأمير

الملك : ماذا تقصد ؟

سندباد : لقد زال النحس الذى تربص به طوال تلك المدة ، وبدأت السعود تطلع فى فلكه ٠ وأتعهد بأن أعلمه فى ستة شهور ٠

الملك : ما لم يتعلمه فى اثنتى عشرة سنة ؟

سندباد : نعم يا مولاى ٠ أعلمه معالى الأخلاق ، ودقائق العلوم وأسرار التنجيم ، وطرق علم الطب وخواص الآدوية

الملك : فى ستة شهور ؟

سندباد : بلا زيادة ولا نقصان

الملك : واذا حدث التقصير والتاخير ؟

سندباد : اكون مستوجبا عقوبة ملك الملوك

الملك : أهو وعد آخر ؟

سندباد : بل وعد اخير اشفعه بطلب صغير

الملك : تكلم ·· قل ما بدالك ··

سندباد : أن تأمر ببناء بيت مكعب تصقل سطوحه بالجص والمحارة ، وتهيأ للنقش عليها والكتابة

الملك : وماذا ستكتب عليها ؟

سندباد : هذا ما سوف يعرفه الملك والحضور ، عندما تسألون الأمير فيتكلم بعد ستة شهور ··

المؤرخ : اخذ سندباد يبذل جهده فى تربية الأمير · وواظب الامير وتحمل الآلام فى مطالعة الصور والأشكال بقوة البصر ، وسماع دقائق العلوم ولطائف الحكم بحاسة السمع ، حتى حفظ الغرر والدرر ، واستوعب العجائب والغرائب · وكان سندباد قد أمر بأن تنقش صور البروج والكواكب على أحد سطوح البيت المكعب ، وتسطر على سطح آخر أنواع المعاملات والأخلاق والآداب والعبادات وتثبت على سطح ثالث أسباب العلل وأسماء الادوية وصنوف الامزجة ، وتبين على سطح رابع أنواع الاصوات ومراتب الاوتار ومدارج الاوزان والالحان وترسم على سطح خامس الاشكال الهندسـية من مثلثات ومربعات ومستقيمات ومنحنيات ، ويسطر على سطح سادس قواعد تدبير الرياسة والسياسة ، وقوانين العدل والانصاف · ولما انقضت المدة وانتهت المهلة بعث الملك الى السندباد رسولا يقول : ها قد حل الموعد فهل أنجزت الوعد ؟ وبعث سندباد

الى الملك على لسان الرسول : ان شئت ايها الملك حضر اليك ولدك فى الغد • ثم التفت للامير وقال :

سندباد : لقد أبلغت أباك أنك ستكون عنده صباح الغد • سنعرض عليه ماحصلت ، وتظهر ماحفظت ، وتشهد الجميع انك قد أصبحت نوارة شجرة الملك ، ولكوكب سماء الحكم •

الأمير : ليكن ماتريد يامعلمى •

سندباد : غير اننى لم أنظر بعد فى النجوم لاعرف طالعك •

الأمير : أفعل ياسيدى كما تقول • وانظر فى النجوم لتعرف طالعى ونصيبى ••

المؤرخ : ونهض سندباد على قدميه ووضع الاصطرلاب ، وظل ينظر درجات الطالع ويتحقق من الصور والأشكال والهيئات • ثم صرخ ولطم وجهه وصاح •

سندباد : ويلى ! ويلى ! ماذا أفعل ؟ !

الأمير : ماذا بك يامعلمى ؟ ماذا رأيت حتى تفعل هذا بنفسك ؟ !

سندباد : أنظر بنفسك ياولدى وستعرف لماذا صرخت ولطمت وجهى • فى طالعك نحوسة وخطر الى سبعة أيام متصلة • واذا تكلمت فى هذه الأيام السبعة مع أى مخلوك يكون فى ذلك هلاكك •

الأمير : ان أمرت أن لاافتح فمى سبعة شهور كاملة فلن أعص أمرك • اطمئن يامعلمى •

سندباد : كيف أطمئن ياولدى ؟ اذا صحبتك الى الحضرة العلية تقع فى الخطر ، واذا لم أصحبك أتعرض لعقوبة الملك • من لى بعلاج هذا المشكل وتدبير هذا المعضل ! انهم سيصحبونك غداً ••

الأمير : وأين المشكل والمعضل يامعلمى ؟ سأطيع أمرك ولن أفتح فمى ·· وعندما يقتضى الحال تتدخل حكمتك ··

سندباد : واذا كانت طوالع النجوم تقول : توار انت ياسندباد فى هذه الايام السبعة ··

الأمير : فلتتوار أنت اذن ·· ولتتدخل حكمتى ···

المؤرخ : ولما ظهرت أنوار ملكة الكواكب ذهب الامير الى حضرة ابيه ووقف صامتا · وكلما ألح الملك والوزراء وسألوه أن يتكلم لم يسمعوا منه أى جواب · فقال الملك :

الملك : لعلـــه يخجل من هذه الجماعة ولايطلق لســـان المقال فى حضرتنا · ارسلوه الى سراى الحرم عساه يتكلم مع أهل الحجاب ··

المؤرخ : كان فى حرم الملك جارية هى الجمال بعينه · وكانت قـد عشقت الأمير من مدة مديدة ، فلما أن غاب عنها قنعت من وصاله بالخيال ، وعللت قلبها عن فراقه بالآمال · وما كادت تسمع بما جرى حتى ذهبت الى الملك وقالت :

الجارية : يامنبع الجلال ومطلع الكمال ، ارسل الأمير الى حجرة جاريته · لقد رعيت الدر اليتيم وعوضته عن حنان أمه ··

الملك : نعم الرأى ما رأيت يادرة قلبى وقرة عينى ·· ليذهب الى حجرتك عساه أن يتكلم معك ··

المؤرخ : وأخذت الجارية بيد الأمير ودخلت معه فى حجرة الخلوة · واقتربت منه وهى تبثه لواعج الشوق ، وتفتح قفص الصدر ليفرد طائر العشق · لم يفتح الأمير فمه فمدت يدها الى يده ، وقربت صدرها من صدره وتلوث وهمست فى أذنه :

الجارية : افتح فمك كالوردة بوعد صادق ، حتى لا أمزق القميص كزهرة الشقائق · انها دعوى القلب ، أنا معك ، لاتصرخ ، ها هو باب حكم العشق ، وها أنت وأنا ··

المؤرخ : وبقى فم الأمير مختوما بشمع الصمت · فمالت عليه حتى كادت أن تلمس شفتيه وقالت :

الجارية : ضع يدك فى يدى · عاهدنى أن اسلمك هذا الملك واذا وفيت الوعود ولم تنقض العهود ··

المؤرخ : ولم يستطع الأمير أن يكتم اعصار غيظة فأطلق من فمه بركان غضبه : ـ

الأمير : كيف تدخلين هذا المستحيل فى حد الامكان ؟

الجارية : أسم الملك بالحيلة ، وأضع تاج المملكة على رأسك ··

الأمير : هل يليق بالابن أن يتعرض لحرم الأب ؟ هـل أبطل حق الشريعة والفتوة ، من أجل قضاء شهوة ؟ اننى اذا قلت كلمة فى هذه الأيام السبعة تكون سبب هلاكى وضياعى · ولولا كوكب النحس والخطر ، لابلغت أمرك للملك المنتقم · لكننى سأسكت وأنتظر ، حتى تنقضى أيام النحوس وساعات البؤس ، فتنالين جزاء العقوق ، وتعاقبين على خيانة الحقوق ··

المؤرخ : وخرج الأمير من حجرة الجارية وهو فى أشد الغضب · وفكرت فيما بينها وبين نفسها وقالت وهى تعض بنان الندم على سوء تدبيرها ، وتغص بالدمع المنهمر على هول مصيرها :

الجارية : ويلى ويلى ! لقد لوثت عرضى بالخيانة والفضيحة وصيرته هدف سهام العقاب والعذاب · ولو سمع الشاه الأعلى بما جرى لبطلت ثقته في عهدي وكمال محبتي ، وأنكر قديم اخلاصى

وودى • ويلى ! ويلى ! لقد عرضت نفسى لسخطه : ولا أمان للبحر والنار والسلطان • واذا أمكننى تجنب البحر والنار فكيف أتجنب غضب الملك ؟ ليس أمامى الا أن ألجأ الى لطف الحيلة ، وبديع التمويه والتزوير • ليس امامى الا أن أطأ الروح بالقدم فى هذا الطريق ! وقبل أن تنقضى مهلة الأيام السبعة ويقرر الأمير خيانتى ، فلابد أن أسبقه وأتهمه بالخيانة ••

المؤرخ : ومزقت الجارية ثيابها على الفور ، وانتزعت شعرها وخمشت وجهها ، وصاحت وهى تجرى الى تخت الشاه متنكرة متحيرة ••

الجارية : الغياث يامسلمين ! يأيها السلطان ! يا ملك العالم ! ياظل الله فى الأرض ومأوى كل مظلوم ! ايجوز أن يصير فى عهد عدلك ظلم ، وترتكب فى حق ذاتك خيانة ؟ •

الملك : ومن الذى ارتكب هذه الخيانة ؟ من تجرأ على هذا الظلم ؟

الجارية : لما صحبت الأمير الى حجرتى ، أشفقت عليه شفقة الامومة وقلت له : ياثمرة الشجرة الملكية ! لم هذا الصمت ؟ ولماذا لايغنى بلبل لسانك على شجرة الكلام ؟ فما كان منه الا كما قالوا : سكت دهرا ونطق كفرا ••

فتح فمه وقال : موجب صمتى داء حبك الذى لا علاج له • وهجرك الذى لاينتهى • آه ! لقد وضعت يد العشق قفل السكوت على فمى • فاعلمى أن حبك امتزج بمائى وطينى ، واستقر فى لقبى من المهد الى هذا العهد • لقد أسعف الحظ وأرسلنى الشاه الى حجرتك • فأطلقى روحى من قيد هواك واروى

عطش فمي من ماء بحرك ، واقبلي خدمتي في كعبة جمالك ، حتى أقضي على أبي بالسيف أو بالسم . ولما رأيت أن الجنون قد استولى على قلبه ، وخفت ان يتبع الاقوال الذميمة بارتكاب الفاحشة والجريمة ، خلصت شرفي من خناجر يديه ، وجريت الى ظل رحمتك وعدت لك وانا اقول . ماقالت زليخا : ماجزاء من أراد بأهلك سوءا ؟

المؤرخ : وتأثر الملك وتعاكر . ثم قال في غضب الأسد الغضنفر :

الملك : الا أن يسجن أو عذاب اليم .. لا لا .. ليس هذا ولدي .. انه ليس من أهلي .. لابد من قلع الشوكة وقتل الافعى ! ولاعلاج للعضو المريض الا القطع أو الحرق !

المؤرخ : واشار للسياف ان اخرجه واهلكه . ولولا انكم كنتم هناك .

الحكماء : نحن ؟ .. هناك في بلاط السلطان ! .

المؤرخ : نعم . نعم . الحكماء والوزراء السبعة ـ كلكم كامل وعاقل ، وناصح وعادل . تزينون سماء المملكة كالسيارات السبعة ، وتثبتون قواعدها برأيكم الصائب ، وذهنكم الثاقب . فقد اتفق أن كان الوزراء في طريقهم الى الحضرة ، فلما سمعوا ما قالته الجارية اجتمعوا للتشاور والتأمل . وقال الوزير الأكبر ..

الوزير الأكبر : لايليق أن يلتفت السلطان الى مقال امرأة ناقصة العقل ..

وزير : ويهلك ابنه في سورة غضبه

وزير : ثم يتحسر ويندم حين لاتنفع الحسرة والندامة .

وزير : وعندئذ لن يتهم رأى السلطان ولن يشك فى عقله .

وزير : بل سندان نحن ونرمى بسهام السخف والحمق .

وزير : ويلقى علينا ذنب تعجله ويعاقبنا على جريمته ..

الوزير الاكبر : ويبقى عرش المملكة بغير وريث ، ويطمع العدو فى الديار ويودى بالطيب والخبيث .

وزير : واذا أمضى السلطان عزيمته ونفذ أمره ..

وزير : لم يسبق أن فعل هذا بغير مشورتنا وتدبيرنا ...

الوزير الاكبر : فلنسرع اليه قبل أن يقر قراره ..

وزير : ويندم على حمقه وطيشه ..

وزير : ونندم نحن على عقلنا وحكمتنا ! ...

- ١١ -

المؤرخ : أخذ الوزراء والحكماء السبعة يتشـــــاورون ويتدبرون . واتفقت كلمتهم على الطريقة التى يخلصون بها الأمير من هول المصير : فيذهب كل واحد منهم الى حضرة السلطان ويروى له حكاية فى مكر النساء وكيدهن ، وبذلك يبطل الحكاية التى تكون الجارية قدروتها له فى اليوم السابق لتستحثه على قتل الأمير . وأعجبتهم الفكرة الحكيمة ، ومضـــوا فى تنفيذها لعلها تدفع الداهية المظيمة وتؤجل العقوبة الجسيمة ، حتى تمر أيام النحوس ، وتتبدل بأوقات السعود التى تحيى موات النفوس . وأسرع الوزير والحكيم الأول الى السياف وقال له :

الوزير : أوقف عقوبة الأمير ، حتى تتكشف الأمور . .

السياف : لقد أبلغنى رسوله الآن ، بمشيئة حضرة السلطان ..

الوزير : قلت أوقفها ياغبى ، وحذار أن تلمس شعرة من رأس الصبى

السياف : واذا وصلنى المرسوم والفرمان وعليه ختم السلطان ...

الوزير : تلقيه فى النار بلا ابطاء ، مالم نجد عليه أختام الحكماء السبعة والوزراء ..

المؤرخ : وذهب الوزير الى حضرة السلطان ، وقدم شروط الطاعة ولوازم الثناء ، ثم قال : ليس يوافق رأى السلطان الكافى ، وعقله الوافى ، الاقدام على مثل هذه العقوبة الهائلة ، والتى يتعذر تداركها حين تنكشف شمس اليقين ، من حجاب الشبه والظنون ، ويصبح حالكم كحال ذلك الرجل الذى قتل ببغاءه بافتراء امرأته ، ولما ميز الحق من الباطل ، والزور من الصدق ، لم تجده الحسرة ، ولم تنفعه الندامة .. وهنالك مسألة الملك :

الملك : وكيف كانت تلك الحكاية ؟ قل ياوزير ...

المؤرخ : وروى الوزير حكاية عن كيد النساء ، أتبعها بحكاية أخرى عن دهائهن ومكرهن ، لكى يصرف الملك عن تسليم الأمير لريح الفناء ، بتزوير واحدة من بنات حواء . وسمعت الجارية فى اليوم التالى أن الملك أجل عقوبة ابنه ، لأن أحد الوزراء الحكماء ثناه عن امضاء عزمه . فذهبت امام تخت الشاه ، واستغاثت بعدله وانصافه ، وحثته على الاسراع فى تنفيذ العقوبة ، حتى لايحدث له عين ماحدث للقصار من ولده العاق ..

الملك : وكيف كانت تلك الحكاية ؟ احكى أيتها الجارية !

المؤرخ : وروت عليه حكاية القصار الذى كان مشغولا بغسل الثياب فى النهر ، فرأى ابنه الأحمق الجاهل يغرق مع حماره فى الدوامة ، واندفع فى الماء لينقذه فتشبث به الولد وأغرقه معه . فلما سمع الملك الحكاية قال :

الملك : هيا ياسياف ! عجل برقبة ابنى الفاسق العاق !

المؤرخ : وعندما وصل الخبر الى الوزير الثانى اسرع للسياف وقال :

الوزير : أحذرك كما حذرك الوزير الأول ! أجل القتل حتى أرى السلطان وأحدثه عن فوائد ترك التهور والبعد عن مكائد النساء ..

المؤرخ : وجاء الوزير الثانى فروى رواية وحكى حكاية عن الرجل الذى ترك طفله الوحيد مع قط يحرسه ، ثم رجع الى بيته فوجد على فمه آثار دماء . وجن جنونه حين تصور أنها دماء ابنه . فقتل القط ، شر قتله . ثم اكتشف سوء فعله عندما دخل بيته ووجد الطفل نائما فى مهده وعلى الأرض مزق من لحم ثعبان اسود أنشب فيه القط الوفى مخلبه ونابه .. وعادت الجارية فى اليوم التالى فروت رواية وحكت حكاية لاحباط تدبير الحكماء لنجاة الأمير ، وتأجيل القرار المهلك الخطير . وهكذا استمر الحال الى أن انقضت الايام السبعة التى حكم على الأمير بأن يلزم فيها الصبر والسكون ، حتى يرتفع من درجات النحوس الى كواكب الخير والسعود . وانطلق لسان الأمير فأرسل الى الوزير الكبير ، وأثنى على حكمته هو ومن معه من الوزراء ، وطلب منه أن يذهب الى أبيه ، ويحمل اليه البشرى بنجاته من كل مكروه ، ويطلب منه الأمر باقامة محفل يضم الاعيان والكبراء ، ويعرض فيه الأمير محصوله من علم العلماء وحكمة الحكماء . واجتمع الجمع العظيم ، وطفق الأمير يظهر علمه المكنون ، ويبرهن بالحكايات على مخالفة التقارير للتدابير ، وكيفية تحول حاله من التعسير الى التيسير واتجاه همته الى تحصيل أنوار العلم والعرفان ، وأزهار الحكمة والبيان .. والفضل لله ولسندباد .. فالتفت الملك الى السندباد الحكيم وقال :

الملك : كنت واثقا من عقلك وحكمتك ، وفضلك وشهامتك · ولكن قل لى ياسندباد ، كيف ساعدت ولدى على تحصيل هذه الحكمة الجليلة ، فى هذه المدة القليلة ؟

سندباد : ليأذن مولاى بأن يرد الأمير على سؤاله ··

الملك : قل ياولدى

الأمير : أصل كل العلوم العقل · واصل العقل الحكمة · والحكمة فيض ربانى · أو من يكون مسعود الحظ ، تتهيأ له الأسباب فتتنزل عليه ·

الملك : والأسباب من تقدير الله ياولدى ··

الأمير : جلت قدرته · وهو مسبب كل الأسباب ··

الملك : وبحكمة هذا الشيخ العاقل ··

الأمير : حكمته ورعايته وفضله · أما الأسباب فعدة حكم أو كلمات ··

الملك : كلمات ؟ ماذا تقصد ؟

الأمير : كلمات دونها الشيخ على جدران القصر ··

الملك : يدهشنى قولك · تقصد ذلك البيت المكعب الذى طلب السندباد بناءه ؟ ·

الأمير : وعلى كل جدار سطر حكمه ··

الملك : اسمعنى بعضا منها ·· قل ··

الأمير : من يستمع لأقوال الواشى والنمام ، يندم اذ لايجدى الندم ويحيا فى الآلام ··

الملك : الحمد لله الذى نجانا منه ..

الأمير : من يتربى فى حضن الفطنة والعقل التام لايغفل عن مكر عدو كالثعبان السام .

الملك : نعم يابنى . أوشكت أن أغفل عنه ..

الأمير : مهما فعل الأخوان فلا تبغض أحدا فالجرح المؤلم من كف صديق لايؤلم أبدا ..

الملك : صدقت ياولدى . لولاهم لجرحت جرحا لايداوى .

الأمير : شاور – ان رمت الرأى الصائب – أرباب الحكمة والعقل الثاقب .

الملك : ونعم ما أشار به الحكماء السبعة من غير استشارة .

الأمير : احذر اعداءك فى الداخل واضمم حاشية الثوب فالسهم المارق من قوسك سيصيب القلب ..

الملك : الحمد لله الذى أطاش السهم الغادر ....

الأمير : العاقل من ازم الصمت وصام الدهر ان نطق بقول يتدبر عاقبة الأمر ..

المؤرخ : ورفع الملك يديه الى السماء وقال : الحمد لله الذى زين ولدى بزينة العقل والحكمة ، والآن آوان العزلة ، والاستعداد للزاد ، والتهيؤ للمعاد . ذهب القادمون واحد واحدا ، ولاأحد يدل على العائدين ..

الحكماء : آه .. وذهبنا نحن أيضا ..

المؤرخ : ورجعتم يا حكماء اليونان السبعة .. فى أجيال منها الحكماء ومنها أعداء الحكمة ..

الحكماء : أما الحكماء فقد تابعت خطاهم · لكن من هم أعـــداء الحكمة ؟

المؤرخ : الدجالون ومن نطقوا باســـم الحكمة · تجار الكلمـــة · والقوالون الوراقون الكتبة · يتحرك قلم ولســان ، والقلب الغادر خوان · وكر أفاع يُفزع منه الشـــيطان ·· والكذبة كالجارية بقصر السلطان ··

الحكماء : قلب خوان ؟ والكذبة كالجارية بقصر السلطان ؟ ماذا تقصد ؟ ··

- ١٢ -

المؤرخ : ذهبت الجارية والأمير والسلطان والسندباد · لكن بقيت تلك الكلمات على جدران القصر ··

الحكماء : الكلمات على جدران القصر ؟ !

المؤرخ : تلك التى رددها الوزراء السبعة والأمير · تلك التى حفظت حكمتكم وحفظته ···

الحكماء : حكمتنا نحن ؟

المؤرخ : ربما تغيرت قليلا · ربما صارت خيوطا فى بساط شرقى ونسجت منها حكايات وحكايات ·· لكنها أنقذت رأس الأمير ·

الحكماء : وكيف عرفها الوزراء أو الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : لا ندرى كيف · هل نفختها ريح الوجدان الشعبى فطارت من جزر اليونان لأرض العرب(٣٩) وأرض الفرس ؟ هل نقلتها قوافل التجار المسافرين أو حملتها سيوف المحاربين ؟ كل ما ندريه أنها تسللت الى القلوب قبل أن تظهر فى وقت الشدة ··

الحكماء : وهل لاحظت وجه الشبه بينهما ؟

المؤرخ : وأنتم ؟ الم تلاحظوه ؟

صولون : حذار ! لا تبالغ فى شىء !

المؤرخ : قالها الوزراء السبعة لكل بطريقته · وعندما اسرف السلطان فى تهوره علموه ان العاقل هو من يلزم حده ··

طاليس : الزم حدك · هذا قولى ··

المؤرخ : ولما سبق لسانه عقله حذروه ··

خيلون : لا تجعل لسانك يسبق عقلك ··

كليوبوليس : استمع كثيرا وتكلم قليلا ··

المؤرخ : وكذلك حذر الوزراء السبعة : العاقل من لزم الصمت وصام الدهر ، ان نطق بقول يتدبر عاقبة الامر ··

بيرياندر : ليتهم قالوا للملك ما قلت : ان حالفك الحظ فراع العدل · واذا النحس اصابك فارع الحكمة والعقل ··

المؤرخ : وهل قالوا له غير هذا ؟ لقد اندفع وراء طيشه وغضـــبه فظلوا يلحون عليه ان يتريث ويؤجل قراره :

شاور – ان رمت الرأى الصائب –
أرباب الحكمة والعقل الثاقب

صولون : لو بدأ بمعرفة النفس ··

طاليس : ألم أقل انها اصعب شىء ؟

المؤرخ : ولكنه عرفها فى النهاية ·· ولولا حكمتكم ··

صولون : قلت لا تبالغ فى شىء !

المؤرخ : لولاها ما بقيت رأس الأمير على رقبته · فالحكمة تتدخل في وقت المحنة · واذا غابت وافتقد الناس الحكماء ولم يجدوا القدوة ··

الحكماء : فالكارثة أو اللعنه !

المؤرخ : ذلك حق · ولهذا نحيا فى المحنة ··

الحكماء : كيف وما زلت تردد حكمتنا ؟

المؤرخ : وأعلمها ويعلمها غيرى · نكتب عنها ونرددها · لكن من يحياها ؟ من يذكرها ويحققها فى نفسه ؟ ··

الحكماء : هل غاب الحكماء وجفت آبار الحكمة ؟

المؤرخ : بل أصبح كهان الحكمة أعدى أعداء الحكمة ··

طاليس : دعنا نسمعهم صوت العقل ··

صولون : أو ندعوهم للمأدبة الكبرى ··

طاليس : ونذكرهم ـ قبل فوات الوقت ـ بأقوال الحكماء السبعة ··

المؤرخ : هل يجدى هذا مع من لا يعرف نفسه ؟

طاليس : لن يجدى شىء غيره ! ·· أنا أبدا قولى :

اعرف نفسك !

معرفة الناس هى الحكمة

لكن معرفة النفس ضياء ·

والنور الأكمل لا يتدفق ،

لا يترقرق الا من مهجة شمسك

من نبع صفائك ·

ذد عنك السحب لكى لا تغشى شمس سمائك
واعرف نفسك ياصاح بنفسك !

المؤرخ : اتفيد الحكمة من لايعرف حدد ؟

كليوبوليس : اسمع قولى له : ـ
الزم حدك ، لا تطمع !
واذا أحسست الرغبة فارغب فى شىء واحد :
الا ترغب شيئا !
ليس هنالك جرم أبشع
لا نكبة فى العالم أفظع
من أن تأسرك الشهوة
ويسوقك ثور الجشع الأعمى
للثور الأجشع ..
فارض بما عندك واقنع .
الألوان الخمسة تعمى البصر فلا تطمع
والنغمات الخمس الناشزة تصم السمع
فارقد فى حضن الصمت
وازهد فى اللذة فاللذة باب الموت .
مر على الحان ولا تتطلع ..
حتى المعرفة أو بالفطنة
حتى الحكمة ان جاوزت الحد
فنبذ الحكمة انفع :
من ربح العالم فهو الخاسر

اما من خسر النفس

فان خسارته أوجع ..

المؤرخ : والمتظاهر .. لا يشغله الا المظهر ،

هل يجدى معه النصح ..

بياس : تدبر !

واصدق مع نفسك

كن ، لا تظهر !

واسمع قول « بياس » وتفكر :

هل تظهر علمك وتؤكد أنك فى العلم مقدم ؟

ليتك تعلم

أن العلم يميت الحكمة

والأعلم ليس هو الأحكم .

فى أوقات المحن وزحف الطوفان الأعظم

يصبح أذكى الناس كأغباهم

والأفصح فيهم أبكم .

هل تظهر أنك أنت البطل الأوحد ؟

أنك بعد المذبحة الكبرى

صرت المنتصر الأعظم ؟

البطل الأوحد ـ فيما يؤثر من أقدم عهد ـ

كسب المعركة ووفى الوعد

ثم توارى لم تره الا عين الرب

عبر الى الشط الآخر وانتظر الشعب

انتظر الموكب والبطل الظافر

ليتوجه اكليل المجد
مالت شمس نهار وانحدرت شمس اخرى للغرب
اما البطل فغاب ولم يظهر بعد(٤٠) ٠٠ !

المؤرخ : من يتخذ الحكمة ترفا أو يجعل منها حلية
ويثرثر ـ مثل الحاوى ـ فى زمن الضنك عن الحرية
ما قولك له ؟ !

بيتاكوس : لن ينفع قول فى زمن يسقط معنى القول ٠
فاجدل من قولى حبل الثورة والفعل ٠٠
يا من تلبس ثوب الحكمة فى زمن المحنة والآحزان
اصنع من قولك حجرا وارجم كل الأوثان ٠
الشعب العاجز لا يملك دفعا للطغيان
هل تتأمل ضوء القمر وشعبك فى الوحل مهان ؟
الثورة هى فصل الحكمة ، ثر وتحرك !
واغضب للحق وأعلن للعالم سرك وارفع صوتك !
واذا اختل نظام الشعب وساد الرعب
وضاع الواجب والقانون
فالحكمة فى المحنة خوف والطيبة ضعف
والعقل جنون
عندئذ تستل الحكمة سيف العدل
وترفع أعلام الثورة والحرية
وتقاتل كى لا يسقط هذا العالم
فى كف العسف الدموية ٠

جاء الحكماء وجاء الرسل وتركوا للناس وصية
للفقراء المحتاجين لخبز الحكمة والحرية
فروا من وجه طغاة الأرض ولبوا صوت الشعب
واجتمعوا تحت لواء البؤس زمانا
ثم تواروا فى ليل المغيب :
رهبان الهند وكهنة طيبة والفقراء بمكة ،
أتباع البوذا وزرادشت وكونفوشيوس والطاوية
والمحزونون مع المحزون على جبل الزيتون وفى جلجثة يوم
الصلب مدوا حكمتهم طوق نجاة للبؤساء وعاشوا من أجل
قضية الحكمة فى وقت المحنة تثأر وتثور وتضرب !
كن نورا فى ليل العالم والحكمة شمسا وسماء
تنقشع السحب وتقصر عنك سهام السفلة والسفهاء
واترك هذا العالم خيرا مما كان عليه
حين أتيت اليه ٠٠

المؤرخ : حق ما قلت ويبقى القول هو القول
أعداد الحكمة لن ينفع معهم قول أو فعل

الحكماء : جرب ! ٠٠

المؤرخ : جربت وألقيت البذر
لم احصد غير الحسرة والثمر المر

الحكماء : قد يقع المطر على أرض صالحة خصبة
ويمر الصدق على الكاذب فيحرك قلبه

المؤرخ : أعداد الحكمة فى هذا العصر ٠

صم كالصخر ٠

شبوا فى حجر المكر وشابوا فى حضن الغدر ٠

ماذا تنتظر من الأوغاد الكذبة ؟

القوالين الوراقين الكتبة ٠

شهود الزور ونهازى الفرص

لصوص الموتى والأحياء النهبة ٠

هل ينبت زرع فى أرض خربة ؟

اغتالوا الحق وراحوا يبكون الميت

واقاموا المأتم وانطلقوا وبأعلى صوت :

الكاذب ينعى الصدق وينشد أروع مرثية

والمتسلط يبكى الحرية

والمتسلق يندب حظ الشرف الضائع وعبيد السلطة يفتون عن الثورة

والساجد للدولار يحض الناس على الزهد

ويسهب فى مدح الفقر واخلاص النية

والكل يصيح ويصرخ ويثير من اللاشىء قضية ٠٠

الحكماء : الكل ؟ ألا تستثنى أحدا ؟

المؤرخ : أستثنى القلـــة وأقل من القلة ٠٠ من بالطبـــع أو العزة والأنفة ٠٠ عاشوا فى كنف الغربة ٠٠

الحكماء : اتعيش الحكمة فى تلك الغربة ؟

المؤرخ : وتعزى النفس بذكرى الحكماء السبعة ··

الحكماء : ومن سيعزى الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : أن الحكمة تبكى أيضا ··

الحكماء : ابكى أيتها الحكمة ··

ابكى أيتها الحكمة ··

عبد الغفار مكاوى

يناير ١٩٨٧

الهـــوامش

---

(١) ميناء مدينة روما عند مصب نهر التيبر . يبدو أنه تأسس فى النصف الاول من القرن الرابع ق.م ، وتسببت العواصف الرملية فى ردمه ولفقد أهميته بعد تأسيس ميناء اغسطس . كشفت الحفـــائر عن ألواح حجرية تحمل معلومات تاريخية هامة ، ومن بينها ألواح نقشت عليـه بعض عبارات الحكماء السبعة ويرجح انها كانت لتعليم التلاميذ .

(٢) الالياذة ، النشيد الأول ، ٤٠٥ وما بعده ، والنشـيد الثـالث ١٤٦ وما بعده .

(٣) هيرمان فرنكل ، الادب والفلسفة فى العصر الافريقى ، ميونيخ ، دار النشر بيك ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٦ .

(٤) افلاطون ، محـاورة طيماوس ، ٢٢ ب .

(٥) ارســطو ، نظام الأثينيين ، ٥ ، ١ .

(٦) راجع عن بياس : ديوجنيس اللائرسى فى كتابه عن حيـاة مشاهير الفلاسفة وآرائهم ، ١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، وكذلك بلوتارك : المســائل الافريقيـة ، ٢٠ وشذرة ارسطو عن دستور ساموس (رقم ٥٧٦ ، روز) .

(٧) تاريخ هيرودوت ١ ، ٢٣ وكذلك ٥ ، ٩٥ ـ وانظر أخبـار بريانلدو عند ارسطو ، كتاب الخطابة ١ ، ١٥ ، ١٣ ، ١٣٧٥ ب ، وعند ديوجين اللائرسى فى كتابه السـابق الذكر ، ١ ، ٩٩ .

(٨) الشذرة ٣٦٠ من أشعاره الباقية . راجع طبعة ماكس ثروى ، توسكولوم ، ميونيخ ، ١٩٦٣ .

(٩) راجع فى هذا كله ديوجينيس اللائرسى ، المرجع السابق ١ ، ٣٠ — ٤٠ — ٤٢ — ١٢٢ .

(١٠) أى ما يقرب من سبعة كيلو مترات .

(١١) راجع الحكاية كلها فى تاريخ هيرودوت ١ ، ٢٩ — ٣٣ ، ٨٦ — ٨٨ .

(١٢) كانت مملكة الليديين تقع فى الجزء الغربى من آسيا الصغرى . وقد أدى انهيار دولة الفريجيين حوالى سنة ٦٩٠ ق.م الى ظهورها على مسرح الأحداث ، فحررت نفسها من سيطرة الكيمريين واخضعت المدن الاغريقية على الساحل الغربى لآسيا الصغرى . أما كرويزوس (ولعله هو قارون المذكور فى القرآن الكريم والكتاب المقدس) فهو أحد الملوك الذين حكموها (من ٥٦٠ الى ٥٤٦ ق.م بعد جيجيس والياتيس) . وازدهر ملكهم بعد انتصارهم على الميديين . زحف قورش الثانى ملك الفرس فى سنة ٥٤٧ ق.م على المملكة وحاصر عاصمتها الرائعة سارديس وأسر كرويزوس وهيأ له المحرقة ثم عفا عنه كما تروى حكاية الحكماء السبعة ، وهناك رواية أخرى تنسب الى الياتيس ملك الليديين انه بعث رسولا يسأل عرافة معبد دلف : من هو أسعد انسان فوق الأرض ؟ ويبدو أن الملك كان يتوقع أن يتلقى الجواب بأنه أسعد السعداء ما دام يملك القوة والأبهة وكنوز الذهب والفضة بغير حساب . ولكن النبوءة قالت : أسعد الناس هو أجلاوس بن بسوفيس . وبحث الملك عن هذا السعيد المجهول وأرسل جنده يفتشون عنه فى كل مكان . ثم جاءه الرسل بعد أن عثروا عليه فذهل وصاح : فلاح بائس رد الرسل قائلين : وهو بسيط وتقى صالح . والحكايتان تؤكدان ان اعتزاز الاغريقى بوعيه وحكمته وكبريائه وبساطته فى مواجهة ملوك الشرق بثرائهم وأبهة قصورهم وتجبرهم .

(١٣) تقوم هذه اللوحة على ثمانى رسائل متبادلة بين عدد من الحكماء السبعة ، وكانت تؤلف فى العصور القديمة شكلا من أشكال الرواية التاريخية على هيئة رسائل . وقد ذكرها مؤرخ حياة مشاهير الفلاسفة ، ديوجينيس اللائرسى ، ووزعها على سير الفلاسفة كل على حدة . ولهذا حاولنا

الجمع بينها وترتيبها على هـذه الصـورة التى أوردها الأستاذ « برونوسنيل » فى كتابه عن حياة الحكماء السبعة وآرائهم . ويبدو أن الرواية الأصلية كانت اكبر وأشـمل مما توحى به هذه الرسـائل المتبقية . فرسالة طاليس الى صولون تشير الى رسالة سابقـة تلقاها من بياس ، كما أن المراسـلات المتبادلة بين طاليس وفيريكيديس يحتمل أن تكون جزءا من رواية تاريخيـة اخرى ، ولكن المؤكد على كل حال انها تشير ــ كما تفعل الرسـائل المتبادلة بين صولون وطاليس ــ الى الرحلات التى قام بها الحكماء السبعة والصـلات التى كانت قائمـة بينهم والزيارات واللقاءات التى جمعتهم . والملاحظ ان الرسـائل لا تذكر غير ستة من الحكماء ، كما تستبعد الحكيمين بيرياندر وبيتاكوس اللذين كانا من الطغـاة المنفردين بالسلطة ، ويرجع هـذا الى الروح السائدة فى هذه الرسائل التى تحمل حملة شـديدة على الملكية والحكم الفردى المستبد كمـا تمثل فى شخصـية بيزيستراتوس ، ولهذا كان من الطبيعى ان يستبعد الاسمان السابقان . والثابت أيضـا أن هـذه الروايـة التاريخيـة ترجع للعصر الهلينيستى ، ويرجح أن تكون قد نشأت فى النصف الأول من القرن الثالث ق.م ، تدل على ذلك الروح الواقعية التى تغلب عليهـا وربمـا يدل عليـه أيضا ان كاتب الرواية قد استبدل بالشخصيتين اللتين استبعدهما شخصيتين آخريين معروفتين بالورع والتدين وهما ابيمينيدس الكاهن الكريتى الذى يقال انه خلص أثينا من وبـاء الطـاعون وفريكيديس الذى ينسب اليه كتـاب عن اللاهوت وأنساب الآلهـة .

(١٤) ملك اسطورى حكم أثينا ويقال انه حماها من عجمات الاسبرطيين وسقط دفاعا عنها . يذكر المؤرخ باوزانياس أن المثـال المشهور فيدياس صـنع له تمثالا فى دلفى ، كما يذكر ارسطو فى كتابه عن نظم الاثينيين ان الاثينيين من نسل هـذا الملك ، ولذلك يسمون أيضا بالكودريين .

(١٥) ترجع هذه الحكم والأمثال والعبارات المأثورة الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وبداية الاهتمـام بجمع التراث بوجه عـام فى مجموعات مختارة . وكان من الطبيعى أن تنسب معظم هـذه الأقوال والامثـال للحكماء السبعة الذين تمثل « الحكم » الجارية جوهر حكمتهم . وقد وصلت الينـا اهم هذه المجموعات المختـارة تحت اسم السياسى والفيلسوف ديمتريوس الفاليرونى (من حوالى ٣٥٠ الى ٢٨٠ ق.م) الذى حشـد فى مجموعته عددا

كبيرا من الأقوال والعبارات التي تغلب عليها التفاهة والضحالة بصورة واضحة . وقد أبقيت عليها حفاظا على الروح الشعبية التي تميزها من ناحية ، وعلى الصورة الشعبية التي تظهر بها الحكماء السبعة من ناحية أخرى ؛ وذلك على الرغم من الملل الذي يمكن أن تبعثه في النفس وخلو معظمها من أي حكمة حقيقية .. ولعل هذا يدل على أن الحكماء المشهورين كانوا قد تحولوا الى شخصيات مثالية تفتقر الى الحياة ، وراح الناس يهيلون على رؤوسهم ركام الأقوال والأمثال بلا تمييز .

(١٦) تعتمد هذه الحكاية عن « الكأس الذهبي » على أبيات من الشعر للعالم والشاعر السكندري المشهور كاليماخوس الذي عاش وكتب في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وفيها نجد شخصية العجوز الأوكادي باثيكليس وقصته مع أبنائه على نحو ما أوردتها في بداية هذه اللوحة . وقد روى ديوجينيس اللائرسي الحكاية نفسها نثرا في كتابه عن سير الفلاسفة (١ - ٢٩) وأكمل بذلك الأبيات التي يقولها الشاعر السكندري على لسان روح الشاعر الافريقي القديم هيبوناكس (حوالي ٥٤٠ ق.م (التي صعدت من عالم « هاديس » السفلي لتسخر من علماء النحو السكندريين وتحثهم على ترك خلافاتهم العقيمة .. والمهم في رواية كاليماخوس أنه يضع الكأس الذهبي في مكان المبخرة ذات القوائم الثلاثة التي وردت في روايات صحيحة ترجع الى ما قبل العصر الهلينستي . ولعل الروايتين معا أن يكونا صورة أخرى من الأسطورة القديمة عن النزاع الذي وقع بين الالهات الثلاث هيرا وأثينا وأفروديت عن أجملهن وأحقهن بالتفاحة الذهبية واحتكامهن الى « باريس » للفصل بينهن . ولعل شخصية سقراط الذي رفض أن يصدق نبوءة دلفي المشهورة بأنه أحكم الاثينيين قد أثرت أيضا على صورة الحكماء المتواضعين .

(١٧) يبدو أن أغنيات الشراب (سكوليا) الواردة في هذه اللوحة على لسان الحكماء السبعة كانت جزءا من كتاب شعبي ضائع عن مأدبة ضمتهم في دلفي أو في قصر الملك كرويزوس أو في مكان آخر لا نعلم عنه شيئا . ويبدو أيضا أن هذا الكتاب الضائع قد كان نواة لكتب المآدب وأحاديث الفلاسفة التي توالت بعد ذلك من « مأدبة » أفلاطون المعروفة حتى مأدبة الحكماء السبعة للمؤرخ بلوتارك في أواخر العصور القديمة (عاش من حوالي ٤٦ الى حوالي ١١٩ ميلادية) . والمهم أن الأغاني التي تضمها هذه اللوحة

تدور حول اللغــة التى يمكن أن تعبر عن أحاسيس البشر تعبيرا صادقا كمـا يمكن أن تستخدم للغش والخداع والتمويه والمغالطة . والظـاهر ان المكان والعصر الذى نشأت فيه هــذه الأغنيات (وهو اغلبنا القرن الخامس ق٠م) قد واجها نفس الاســئلة التى تلح علينـا اليوم امام سيل الكذب والزيف والاتجار بالكلمة وتحريفها عن مواضعها .

(١٨) يروى هـذا القول على لســان هيراقليطس وقد ذكره ديوجينيس اللائرسى ١ ، ٢٥ .

(١٩) يحكى أوسطو هذه الحكاية الشهيرة فى السياسة ، أ ١١ ، ١٢٥٩ أ .

(٢٠) يؤكد أفلاطون هــذا الجانب النظرى والتأملى الخـالص بحكايته المشهورة على لسان سقراط لمحدثه ثيودوروس عن وقوع طاليس فى بركة مـاء لانشغاله بالنظر الى قبــة السماء وتأمل النجوم بحيث ضحكت عليــه فتاة تراقية مرحة رأته مصادفة وسخرت من شغفه بمعرفة ما فى الســماء وانصرافه عن معرفة ما يجرى أمامه وتحت قدميه . ويدافع سقراط عن طاليس بأن هذه السخرية تنطبق على كل من يحيــا فى الفلسفة ويهتم بالبحث عن ماهيــة الانسان ـ ثياتيتوس ، ٢٤ ، ١٧٣ جـ ـ ١٧٤ .

(٢١) انظر هذه الأغنيات فى كتابى عن سافو ، القاهرة ، دار المعارف ســنة ١٩٦٦ .

(٢٢) وردت الحكاية عند الكاتب اليانوس (حوالى ســنة ٢٠٠ ميلادية) وقد أخذها عن موســوعة المؤرخ ستوبايوس ٣ ، ٢٩ ، ٥٨ ـ وهى التى ضمت مجموعة ضخمــة من المختـارات الشعرية والنثرية من الأدب اليونانى انتخبها صاحبها فى أوائل القرن الخـامس قبل الميـلاد لتعليم ابنه سبتيموس ورتبهـا ترتيبا موضوعيا من الميتافيزيقا الى التدبير المنزلى .

(٢٣) وردت أغنيات الشراب (ســكوليا) فى كتــاب ديوجينيس اللائرسى السابق الذكر ، ١ ، ٣٥ ـ ٦١ ـ ٧١ ـ ٧٨ ـ ٨٥ ، ٩١ ـ ويلاحظ أن بيرياندر طاغية كورنثــه لم يرد ذكره فى هــذه المـادبة ولا فى صيغها المتأخرة ، كما ان افــلاطون يغفله أيضـــا فى كلامه عن مأدبة الحـكماء الـسبعة فى محــاورته « بروتاجوراس » مما يدل على اعتماده على الكتاب الشعبى ، الضـائع الذى سبقت الاشارة اليه .

(٢٤) عن بلوتارك (من حوالى ٤٦ الى ١٢٠ م) ، مأدبة الحكماء السبعة ، ١١ ، ١٥٤ د ، ويلاحظ فى هذه المجموعة والمجموعات التالية من « الاجابات » انها تمثل جنسا أدبيا ازدهر فيما بعد منذ العصر الهلينستى والعصور التالية ، وكان السؤال دائما يوجه بصيغة أفعل التفضيل : ما الأحكم أو ما الأفضل ، وكانت الاجابات تنسب عادة الى الحكماء السبعة ، وان كان معظمها يرجع لوقت متأخر سادته روح مختلفة . ونحن نقابل لعبة السؤال والجواب فى حكايات اخرى غير الحكايات المأثورة عن الحكماء السبعة ، كما فى حكاية اللقاء الذى تم بين الاسكندر الاكبر والبراهمان الهندى ، أو فى صور أخرى من قصة الاسكندر فى التراث الدينى والشعبى ، كقصة ذى القرنين مع الخضر عليه السلام ، ثم فى كتاب « سندباد نامه » الذى تعتمد عليه اللوحتان الأخيرتان فى هذا الكتاب .

(٢٥) بلوتارك ، مأدبة الحكماء السبعة ، ١٢ ، ١٥٥ ج .

(٢٦) وردت هذه الاجابات عند ستوبايوس ٤ ، ٢٨ ، ٧ ، ٢٧ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٥ .

(٢٧) بلوتارك ، مأدبة الحكماء السبعة ٩ ، ١٥٣ ج ، وديوجينيس اللائرسى ١ ، ٣٥ ، وستوبايوس ١ ، ٣٤ ، ٧٢ ، ١٠٢ ، ١٥٧ .

(٢٨) هو ديسيموس ماجنوس أوزونيوس ، العالم الشاعر وأستاذ النحو والبلاغة الذى ولد حوالى سنة ٣١٠ للميلاد فى مدينة « بوردو » ومات فى أواخر القرن الرابع . عمل مربيا للامير جراسيان الذى أصبح قيصرا فيما بعد وقلده المناصب العالية ، وبعد اغتيال جراسيان سنة ٣٨٣ انسحب الى ضيعته بالقرب من مدينته بوردو وتفرغ لشعره وكتاباته المتنوعة التى تفوقت قيمتها التاريخية والحضارية على قيمها الفنية والأدبية . وقد كتب هذه المسرحية القصيرة أو هذه اللعبة التمثيلية عن الحكماء السبعة وهو فى شيخوخته حوالى سنة ٣٩٠ ميلادية عندما أصبحت الثقافة جافة ضحلة ، وانعكست الضحالة والجفاف على شخصيات الحكماء السبعة الذين يتتابعون على المسرح كأنهم آلات تحركها ساعة آلية ويلقون كلماتهم كما يفعل تلاميذ المدارس الذين يرددون أدوارهم المحفوظة .. وعلى الرغم من رداءة الأشعار وخطأ كثير من المعلومات فان لهذه اللعبة أهميتها فى وقت انعدم فيه الشعر الدرامى أو كاد .

(٢٩) وهو الثوب الأبيض الفضفاض المعروف بالتوجا .

(٣٠) يلاحظ أن حكم الحكماء السبعة وعباراتهم قد وردت فى الأصل اللاتينى باليونانية .

(٣١) ما بين قوسين اضافة منى لتوضيح معنى العبارة التى تقال على لسان صولون الى الملك كرويزوس (انظر اللوحة الثالثة) .

(٣٢) اذكر القارىء بحكاية الكاس الذهبى أو البرونزى الذى عثر عليه الصيادون فى خليج مسينا وعليه النقش الى أحكم الحكماء (اللوحة الخامسة) كما أذكره بأن الحكاية نفسها تروى فى صياغة أخرى عن وعاء ذهبى أو برونزى ذى ثلاثة قوائم يستخدم فى المعابد لاطلاق البخور .

(٣٣) الاشارة الى رسالتين من العصر البيزنطى عرف العلماء أولاهما من عدة مخطوطات دونت ابتداء من القرن الثانى عشر . وفى هذه الرسالة بقية من العصر القديم وبعض أسماء الحكماء السبعة . اما الرسالة الثانية التى ترجع مخطوطاتها الى القرنين السادس عشر والسابع عشر فتزدحم بخلط لا مثيل له ، ولا نكاد نجد فيها غير افكار من العهد القديم والعهد الجديد ، على لسان شخصيات مشهورة مثل هوميروس وافلاطون وأرسطو وهيرميس مثلث العظمة (وهو فى الأصل تحوت اله الحكمة والكتابة المصرى) وعندما يذكر الكاتب اسم أحد الحكماء السبعة نجده يخطىء فهو مثلا يجعل اسم كليوبوليس كليو ميدبس .

(٣٤) ولد بالاسكندرية وعلم فيها من حوالى سنة ١٥٠ الى حوالى سنة ٢١٥ بعد الميلاد . تأثر بأفلاطون بوجه خاص وبالرواقية وفلسفة فيلون وهو من رواد الفلسفة المسيحية والغنوص المسيحى ، وقد اعتقد أن الكلمة او اللوجاس ظهر فعله وتأثيره على الفلسفة الوثنية ، وخصوصا فلسفة افلاطون التى فسرها تفسيرا مسيحيا وتصور أنه لا غنى عنها فى التسامى الى الله والتوجه اليه .

(٣٥) تصرفت فى هذه العبارات المنسوبة الى الشاعر المسرحى « مينا ندر » حتى يستقيم المعنى الذى يدور حول الخشوع لله والتحذير من محاولة معرفته والبحث فى طبيعته . واليك الترجمة الحرفية للأصل : اخش الرب وأعرفه ، لكن لا تبحث عن ذاته ولا عن صفاته ، وسواء أكان

موجودا أم غير موجود فعليك أن تجله وتعرفه بوصفه موجودا . ذلك أن الجاحد هو الذى يسعى الى معرفة الله .

(٣٦) المقصود هو الرسالة الثانية التى مر ذكرها فى هامش سابق .

(٣٧) انظر كتاب سندباد الحكيم (سندباد نامة) فى ترجمته العربية الرائعة عن الفارسية للدكتور امين عبد المجيد بدوى ـ القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٨، م .

(٣٨) وقال ربكم ادعونى أستجب لكم (السورة رقم ٤٠) (غافر) الآية ٥٠ .

(٣٩) ورد ذكر الحكماء السبعة ومقتطفات من أقوالهم عند بعض الفلاسفة المسلمين والمؤرخين للحكمة وطبقاتها .. فالبيرونى يذكرهم فى معرض كلامه عن قدماء اليونان (تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٢٤) فيقول عنهم : « ان قدماء اليونانيين قبل نجوم الحكمة فيهم بالسبعة المسلمين أساطين الحكمة هم : أ ـ سولن الأثينى ، ب ـ وبيوس الفارينى ، جـ ـ وفاريانذروس القورنثى ، د ـ وثالس المليسموسى ، هـ ـ وسيلون اللقاذومونى ، و ـ وفيطيقوس لسبيوس ، ز ـ وقيلبيوليس لنديوس » . ويذكرهم الشهرستانى (الملل والنحل ، جـ ١ ص ١١٩) فيقول : « الحكماء السبعة : الذين هم أساطين الحكمة من الملطية وساميا واثينة وهى بلادهم » .. ثم يورد أسماءهم فيخلط خلطا شديدا ، ويدخل فيهم من المتقدمين أنكسيمانس وانكساغوراس وأنباذوقليس وفيثاغورس ، ومن المتأخرين سقراط وأفلاطون ، وذلك على نحو ما فعل بعض الرواة فى العصر المسيحى متأثرين بمصادر أفلاطونية محدثة ، أما عن آرائهم فيأبى الشهرستانى الا أن يجعل منهم فلاسفة يدور كلامهم « على ذكر وحدانية البارى تعالى واحاطة علمه بالكائنات كيف هى ؟ وفى الابداع وتكوين العالم ، وأن المبادىء الأولى : ما هى ؟ وكم هى ؟ وأن المعاد : ما هو ؟ ومتى هو ؟ وربما تكلموا فى البارى تعالى بنوع حركة وسكون » .

واذا كان الشهرستانى يتتبع أخبارهم التى اغفلها متأخرو فلاسفة الاسلام ، فان ابن النديم فى الفهرست يشير اليهم اشارة عابرة عند كلامه عن أول من تكلم فى الفلسفة معتمدا فى ذلك على أقوال فرفوريوس الصورى تلميذ أفلوطين وكاتب سيرة حياته . ولعل المفكر العربى الوحيد الذى اهتم

بالحكماء السبعة وذكر أسماءهم بدقة وروى بالتفصيل حكايتهم مع الصياد والمبخرة أو المقعد المثلث القوائم (ويسميها طرنبوذا من ذهب) ! كما عنى بجمع اقوالهم وبخاصة اقوال صولون وسيرة حياته المبشر بن فاتك (في كتابه الذى حققه استاذنا عبد الرحمن بدوى وهو مختار الحكم ومحاسن الكلم ، ص ٣٤ ، فى هذا كله كتاب من المثيولوجيا الى الفلسفة عند اليونان أو بواكير الفلسفة قبل سقراط . للدكتور محيى الدين الألوسى الكويت ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥٨ – ص ٢٦٧) .

(٤٠) اشارة من بعيد الى الحكيم الطاوى (نسبة الى الطاو أو طريق الحقيقة وجوهر الأشياء فى الفلسفة الطاوية فى الصين القديمة) الذى يختفى عن الأنظار بعد أن يحقق الانتصار لشعبه ومدينته ، وبالطبع لا يجبر الناس على الاحتفال به وهو مهزوم أو بعد هزيمته ! ويقال ان هذا الحكيم الطاوى هو فان لى ، من القرن الخامس قبل الميلاد . فقد وعدوا أن يهدوه نصف المملكة لو رجع من الحرب منتصرا ومعه جيوش « يوويه » الظافرة . ولكنه ركب بعد تحقيق النصر مركبا خفيفا الى مكان مجهول ولم يسمع به احد بعد ذلك أبدا .. (راجع ترجمة كاتب السطور لكتاب تاو – تى – كنج ، الطريق والفضيلة ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤ .

رقم الايداع ١٩٩٠/٢٨١١

الترقيم الدولى ٦ ــ ٢٤٢٠ ــ ٠١ ــ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

جرى العرف على اعتبار الكتب التى تتناول الحكماء والفلاسفة كتبا متخصصة لا تجذب القارىء العادى ولا تثير اهتمامه ، ولكن ما أبعد هذا الكتاب عن ذلك ، فهو فضلا عن موضوعه الجاد العميق يتميز بجاذبية شديدة تغرى القارىء العادى بأنه ينهل من أسلوبه العذب السلس وبساطته الآسرة . فالكاتب يمزج باتقان شديد بين الشعر والحوار المسرحي والمحاورات الفلسفية ، فيجمع بين الهدف التعليمى والامتاع الفنى ، وبذلك يكون قد حقق ما يرمى إليه وهو « قراءة الحكم الماضية على ضوء الحاضر » .

١٩٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب